عمادة شؤون المكتبات

DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي

جامعة الرياض

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher Education
Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA

التاريخ : ..... Date ..... الرقم : ..... No.

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
الرقم ٢٥٥٢ ق ١٤/٩٠٧
العنوان تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم
المؤلف محمد بن إبراهيم بن جماعة
تاريخ النسخ
اسم الناسخ
عدد الأوراق ٢٢ ص
ملاحظات ٢٧٠
٥٠٠ ج

٣٧٠ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم
ت ٠ ج تأليف ابن جماعة ، محمد بن ابراهيم ... ٧٣٣هـ
كتب في القرن الثالث عشر الهجري تقديراً ٠

٣٢ق ٢٣س ٥ر١٥x٢١سم
٤٥٥٣ نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد ، ناقصة الأول والآخر والأثناء طبع

الاعلام ٦ : ٨٨ ؛ هدية العارفين ٢ : ١٤٨ ؛

١ ـ التربية أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ

وقد جمعت فيه بحمد الله تعالى من تفاريق اداب هذه الابواب ما لم اره مجموعا في كتاب
في فضل العلم والعلما على وجه التبرك والاقتدا وقد رتبته على خمسة ابواب
تحيط بمقصود الكتاب الباب الاول في فضل العلم واهله الباب
الثاني في اداب العالم في نفسه ودرسه ومع طلبته الباب الثالث
في اداب المتعلم في نفسه ومع شيخه ومع رفقته الباب الرابع في اداب
مصاحبة الكتب وما يتعلق بها الباب الخامس في اداب سكنى
المدارس وما يتعلق بها وقد سميته تذكرة السامع والمتكلم في اداب
العالم والمتعلم والله تعالى يوفقنا للعلم والعمل ويبلغنا من رضوانه
غاية الامل الباب الاول في فضل العلم والعلما وفضل تعليمه وتعلمه
قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات قال ابن عباس رضي الله عنه العلما فوق المومنين بسبعمايه
درجة ما بين الدرجتين مائة عام قال الله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط بدا سبحانه بنفسه وثنى
بملائكته وثلث باهل العلم وكفاهم ذلك شرفا وفضلا وجلالة ونبلا
وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى وما يعقلها الا العالمون
وقال تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلما وقال تعالى واكثرهم خبر البريه الى قوله ذلك
لمن خشي ربه فاقتضت الايتان ان العلما هم الذين يخشون الله وان الذين
يخشون الله هم خير البريه فصح ان العلما خير البريه وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعنه صلى الله عليه وسلم
العلما ورثة الانبيا وحسبك بهذا الوصف شرفا وذكرا وبهذه الرتبة مجدا وفخرا

وقدمت على ذلك بابا يحتوي على فضل العلم والعلما على وجه التبرك والاقتدا وقد رتبته على خمسة ابواب

هذا الكتاب اداب العالم والمتعلم تاليف الشيخ الامام العلامة محمد بن ابراهيم بن جماعة الكناني الشافعي رحمه الله تعالى

فكما الرتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة **وعنه** صلى الله
عليه وسلم لما ذكر عنده رجلان احدهما عابد والاخر عالم فقال فضل العالم على
العابد كفضلي على ادناكم **وعنه** صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما
سلك به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم لرضى الله
عنه وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في جوف الماء وان
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء
وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر **وروا**
علم ان لا رتبة فوق رتبة من تستغفل الملائكة وغيرهم بالاستغفار له والدعاء له
وتضع له اجنحتها وانه لينافس في دعاء الرجل الرجل الصالح او من يظن صلاحه
فكيف بدعاء الملائكة **وقد** اختلف في معنى وضع اجنحتها فقيل التواضع له وقيل
النزول عنده والحضور معه وقيل التوقير والتعظيم له وقيل معناه تحفه عليها فتغشيه
على بلوغ مقصده **واما** الهام الحيوانات بالاستغفار لهم فقيل لانها خلقت لمصالح
العباد ولمنافعهم والعلماء هم الذين يبينون ما يحل منها وما يحرم ويوصون بالا
حسان اليها ونفي الضرر عنها **وعنه** صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلما
ودم الشهداء قال بعضهم هذا يدل ان اعلاما للشهيد دمه وادنى ما للعالم مداده
وعنه صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين وفقيه واحد اشد على
الشيطان من الف عابد **وعنه** صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين وفي حديث
يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء **وروى** العلما يوم القيامة على
منابر من نور وقال القاضي حسين بن محمد رحمه الله تعالى في اول تعليقه الا ترى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب العلم والعلما لم تكتب عليه خطيئة

ايام حياته

ايام حياته قال **وروى عنه** صلى الله عليه وسلم قال من اكرم عالما فكانما
اكرم سبعين نبيا ومن اكرم متعلما فكانما اكرم سبعين شهيدا وانه **قال**
من صلى خلف عالم فكانما صلى خلف نبي ومن صلى خلف نبي فقد غفر له
ونقل الشيخ مساحي المالكي في اول كتابه نظم الدر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من عظم العالم فانما يعظم الله تعالى ومن فضل العالم فانما ذلك استخفاف
بالله تعالى وبرسوله **وقال علي** رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا ان يدعيه من
لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ذما ان يتبرا منه من هو فيه
وقال بعض السلف خير للواهب العقل وشر المصائب الجهل **وقال** ابو مسلم
الخولاني العلما في الارض مثل النجوم في السما اذا بدون للناس اهتدوا بها واذا
خفيت عنهم تحيروا **وقال** ابو الاسود الدولي ليس شيء اعز من العلم الملوك
حكام على الناس والعلما حكام على الملوك **وقال** وهب يتشعب من العلم
الشرف وان كان صاحبه دنيا والعز وان كان صاحبه مهينا والقرب وان كان قصيا
والغنا وان كان فقيرا والمهابة وان كان وضيعا **وعن** حاذر رضي الله عنه
تعلموا العلم فان تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه
جهاد وبذله لقربه وتعليمه من لا يعلمه صدقة **وقال** الفضيل بن عياض عالم
معلم يدعى كبيرا في ملكوت السما **وقال** سفيان ابن عيينة ارفع الناس عند الله منزلة
من كان بين الله وبين عباده وهم الانبياء والعلما **وقال** ايضا لم يعط احد في الدنيا
شيئا افضل من النبوة وما بعد النبوة شيئا افضل من العلم والفقه فقيل عمن هذا فقال
عن الفقهاء كلهم **وقال** سهل من اراد النظر الى مجالس الانبيا فلينظر الى مجالس العلما
فاعرفوهم ذلك **وقال** الشافعي رضي الله عنه ان لم يكن الفقهاء العاملون اولياء
الله فليس لله ولي **وعن** ابن عمر مجلس فقه خير من عباده سنة **وعن** سفيان

الثوري والشافعي رضي الله عنهما قالا باب من ليس بعد الفرايض افضل
من طلب العلم وعن الزهري رحمه الله ما عبد الله بمثل الفقه وعن ابي
ذر وابي هريرة رضي الله عنهما قالا باب من العلم تتعلمه احب الينا من الف
ركعة تطوعا وباب من العلم من يعمل به اولم يعمل احب الينا من مئة ركعة
تطوعا وقد ظهر بما ذكرنا ان الاشتغال بالعلم لله تعالى افضل من نوافل العبادات
البدنية من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك لان نفع العلم يعم صاحبه
والناس والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها ولان العلم مصحح لغيره من العبادات
فهي تفتقر اليه وتتوقف عليه ولا يتوهم عليها ولان العلما ورثة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وليس ذلك للمتعبدين لان طاعة العالم واجبة على غيره فيه ولان العلم يبقى
اثره بعد موت صاحبه وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها ولان في بقا العلم احيا
الشريعة وحفظ معالم الملة فصل واعلم ان جميع ما ذكرنا من فضل العلم والعلما
انما هو في حق العلما العاملين الابرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله تعالى
الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم لا من طلبه بسوء نية او خبث طوية او
لاغراض دنيوية من جاه ومال او مكاثرة في الاتباع والطلاب وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم من طلب العلم ليماري به السفهاء او يكابر به العلما او يصرف به وجوه
الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار وروي من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله
تعالى لا يتعلمه الا ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وعن
حماد بن سلمة من طلب الحديث لغير الله تعالى مكر به وعن بشر اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا فيصدك بسكره عن محبتي اولئك
قطاع الطريق على عبادي الباب الثاني في اداب العالم في نفسه ومراعاة
طلبته ودرسه وفيه ثلاثة فصول الاول في اداب في نفسه وهو اثنى عشر

نوعا

نوعا الاول دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلانية والمحافظة على حدوده في جميع
حركاته وسكناته واقواله وافعاله فانه امين على ما اودع من العلوم وما منح من الحواس
والفهوم قال الله تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون وقال
تعالى بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني
قال الشافعي رضي الله تعالى عنه ليس العلم ما حفظ ولكن العلم ما نفع ومن ذلك دوام
السكينة والوقار والورع والتواضع لله تعالى والخشوع ولما كتب مالك الى الرشيد
اذا علمت علما فليكن عليك اثره وسكينته وسمته ووقاره وحلمه لقول النبي صلى الله
عليه وسلم العلما ورثة الانبيا وقال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا العلم وتعلموا له السكينة
والوقار وعن السلف حث على العالم ان يتواضع لله تعالى في سره وعلانيته ويحترس
من نفسه ويقف عما اشكل عليه الثاني ان يصون العلم عما صانه عنه السلف ويترفع
له بما جعل الله تعالى له من العز والشرف فلا يذله بدهابه ومشيه الى غير اهله من
ابناء الدنيا من غير ضرورة او حاجة اولى من يتعلمه منه وان عظم شانه وكبر قدره
قال الزهري هوان بالعلم ان تحمله العالم الى بيت المتعلم واحاديث السلف في هذا
النوع كثيرة وقد حسن القايل ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لاجرم من لاقيت يكرمني
لاخدمنه اشقى به غرسا وجنيه ذلا اذا فاتباع الجهل قد كان احزما ولو ان اهل العلم
صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما فان دنت حاجة الى ذلك او ضرورة
او اقتضته مصلحة ونيته راجحة على مفسدته وحسنت نيته صالحة فلا باس به ان شاء الله
وعلى هذا يحمل ما جاء عن بعض ائمة السلف من المشي الى الملوك وولاة الامر كالزهري
والشافعي وغيرهما لاعلمهم قصدوا بذلك فصول الاغراض الدنيوية وكذلك اذا كان
المشي من العلم والزهد في المنزلة العلية والمحل الرفيع فلا باس بالتردد اليه لافادته
وقد كان سفيان الثوري يمشي الى ابراهيم بن ادهم وبفيده وكان ابو عبيد يمشي الى علي

لعله صانوه

ابن المديني فيسمعه غريب الحديث **الثالث** ان يتخلق بالزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الامكان الذي لا يضر بنفسه او بعياله فانما يحتاج اليه كل احد على الوجه المعتدل من القناعة ليس بعد من الدنيا واقل درجات العالم ان يستقذر المتعلق بالدنيا لانه يعلم الناس بخستها وفتنتها وسرعة زوالها وكثرة تعبها ونصبها فهو احق بعدم الالتفات اليها والاشتغال بهمومها **وعن** الشافعي رضي الله عنه لو اوصى لاعقل الناس لصرف الى الزهاد فليت شعري من احق من العلماء بزيادة العقل وكماله **وقال** يحيى بن معاذ لو كانت الدنيا تبقى والاخرة تفنى لكان ينبغي للعاقل ايثار الخزف الباقي على التبر الفاني فكيف والدنيا خزف فاني والاخرة تبر باقي **الرابع** ان يجرد محله عن جعد سلما يتوصل به الى الاغراض الدنيوية من جاه او مال او سمعة او شهرة او جدة او تقدم على اقرانه قال الامام الشافعي رضي الله عنه وددت ان هذا الخلق تعلموا هذا العلم على ان لا ينسب الي حرف منه ولكل يتزهد عن الطمع في شيء من طلبة مال او حرمة او غيرها بسبب اشغالهم عليه وترددهم عليه وكان منصور لا يستعين باحد يختلف اليه في حاجه وقال سفيان ابن عيينه كنت قد اوتيت فهم القرآن فلما قبلت الصرة من ابي جعفر سلبته نسال الله السلامة **الخامس** ان يتنزه عن في المكاسب ورذيلها طبعا وعن مكروهها عاده وشرعا كالحجام والدباغ والصرف والصياغة وكذلك يجتنب مواضع التهم وان بعدت فلا يفعل شيئا يتضمن نقص مروءة او ما يستنكر ظاهرا وان كان جائزا باطنا فانه يعرض نفسه للتهمة وعرضه للوقيعة ويوقع الناس في الظنون المكروهة ويأثم الوقيعة فان التفكه شيء من ذلك لحاجة او نحوها اجدر من شاهد بحكمه وبعذره ومقصوده قبيلا يأثم بسببه او ينفر عنه فلا ينتفع بعلمه ويستفيد ذلك الجاهل به ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين لما رآياه يتحدثان مع صفيه فوقيا على رسلكما

انها صفيه

التي يكشفها المخالطة فانه قد قال الحكماء العشق العمى عن عيوب المحبوب وغاية لمكان القدرة عليه والنفس لا تزال تتطلع الى ما لا يقدر عليه ثم لو قدرنا دوام المحبة مع القدرة فانها قد تكون ولكن ناقصة بمقدار القدرة وانما يفوتها تجني المحبوب فيكون تجنيه كالامتناع او امتناعه من الموافقة فاذا صفى فلا بد من الكدر منها الحذر عليه ومنها قلة ميله الى هذا العاشق وربما تكلف القرب منه بعلم الانسان بقلة ميل محبوبه اليه بعض ينقص بل يغض فان خاف منه خيانة احتاج الى حراسة ففوات النغص واصلح المقدمات التوسط وهو اختيار ما تميل النفس اليه ولا يرتقي الى مقام العشق فان العاشق في عذاب وانما يتخايل الفارغ من العشق لتذاذ العاشق وليس كذلك فانه كما قيل

وما في الارض اشقى من محب ... وان وجد الهوى عذب المذاق
تراه باكيا في كل وقت ... مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم ... ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التداني ... وتسخن عينه عند الفراق

فصل بما ابتلي الانسان قط بالعظم من علو همته فان من علت همته يختار اعالي المعالي وقد لا يساعد الزمان وقد يضعف الآلة فيبقى في عذاب واني اعطيت من علو الهمة طرفا فانام في عذاب ولا اقول ليته لم يكن فانه انما يحلو العيش بقدر علم العقل والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل ولقد رايت اقواما يصفون علو همتهم فتأملتها فاذا بها في فن واحد ولا يبالون بالنقص فيما هو لهم قال الرضي ... ولكل جسم في النحول بلية
وبلا جسمي من تفاوت همتي ... فنظرت فاذا غاية امله الامارة وكان ابو مسلم الخراساني في حال شبيه لا يكاد ينام فقيل له في ذلك فقال ذهن صاف

الهمج

وهمّ بعيد ونفس تتوق الى معالي الامور مع عيش كعيش الرعاع قيل فما الذي يبرد غليلك قال الظفر بالملك قيل فما طلبه قال لا يطلب الا بالاهوال قيل فاركب الاهوال قال العقل مانع قيل فما تصنع قال سأجعل من عقلي جهلا واحاول به خطرا لا ينال الا بالجهل وادبر بالعقل ما لا يحفظ الا به فان المحمول لحو العدم فنظرت الى حال هذا المسكين فاذا به قد ضيع اهم المهمات وهو جانب الآخرة وانتصب في طلب الولايات فكم فتك وقتل حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا ثم لم يتنعم في ذلك اكثر من ثمان سنين ثم اغتيل وبقي تدبير العقل فتمثل ومضى الى الآخرة على اقبح حال وكان المتنبي يقول

وفي الناس من يرضى بمسور عيشه ∴ ومركوبه رجلاه والثوب جلده ∴
∴ ولكن قلبا بين جنبي ماله ∴ مدى يلتهي في مراد احده ∴
∴ ترى جسمه يكسى شفوفا ترتبه ∴ فيختار ان يكسى دروعا تهدده ∴

فتاملت هذا الاخر فاذا همته فيما يتعلق في الدنيا بالدنيا فحسب ونظرت الى علو همتي فرايتها عجبا وذلك انني اروم من العلم ما اتيقن اني لا اصل اليه لانني احب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها واريد استقصاء كل فن وهذا من عجز العمر عن بعضه فان عرض لي دواعية في فن قد بلغ منتهاه رايته ناقصا في غيره ولا عدة تامة مثل المحدث فانه الفقيه والفقيه فانه عالم الحديث فلا ارى الرضاء بنقصان من العلوم الآحاد تا عن نقص الهمة ثم انني اروم نهاية العمل بالعلم فاتوق الى ورع بشر وزهادة معروف وهذا مع مطالعة الكتب والتصانيف وافادة الخلق ومعاشرتهم بعيد ثم اني اروم الغنى عن الخلق واستشراف الافضال عليهم والاشتغال بالعلم مانع من الكسب وقبول المنن مما تابا الهمة العالية ثم اني اتوق الى طلب الاولاد كما اتوق الى تحقيق التصانيف ليبقى الخلف تا كين عني بعد التلف وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب المحب للخلوة والتفرد ثم اني اروم الاستمتاع

العلوم ح

بالمستحسنات

بالمستحسنات وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال ثم لو حصل فرق بين الهمم وكذلك اطلب لبدني ما يصلحه من المطاعم والمشارب فانه متعود للترف واللطف وفي قلة المال مانع وكل ذلك جمع بين ضدين انا وما وصفته من كانت غاية همته الدنيا وانا لا احب ان يخدش حصول شيء من الدنيا وجه ديني بسبب ولا ان يوثر في علمي ولا في عملي فما اقلقني من طلب قيام الليل وتحقيق الورع مع اعادة العلم وشغل القلب بالتصانيف وتحصيل ما يلايم البدن من المطاعم والاسفل على ما يفوتني من المشتهيات في الخلوة مع ملاقات الناس وتعليمهم وبكدير الورع مع طلب ما لا بد منه للعائلة غير اني قد استلمت لتعذيبي ولعل تعذيبي في تعذيبي لان غليلي هو طلب المعالي المقربة الى الحق عز وجل وربما كانت المخيرة في الطلب دليلا الى المقصود وها انا احفظ انفاسي من ان يضيع منها نفس في غير فائدة وان بلغ همتي مراده والا فنيته المؤمن خير من عمله

بلغ مقابله

فصل

بيان ما سطرت هذا الفصل المتقدم رايت اكثر اذكار النفس بما لا بد لها في الطريق منه وهو انه لا بد لها من التلطف فان قاطع مرحلتين في مرحلة خليق بان يقف فينبغي ان يقطع الطريق باللطف ممكن واذا تعبت الرواحل الروائح نهض الحادي يغنيها واخذ الراحة للجد وغوص السباح في طلب الدر صعود ودوام السير يعيي الابل والمقارة صعبة ومن اراد ان يرى التلطف بالنفس فليتنظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان يتلطف بنفسه ويمازح وخالط النساء ويقبل ويمص اللسان ويختار المستحسنات ويستعذب له الماء ويختار الماء البارد والاوفق من المطاعم كلحم الظهر والدراج والحلوى وهذا كله رفق بالناقة في طريق السير فما ما من جرد عليها السوط فانه يوشك ان لا تقطع الطريق وقد قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واعلم انه ينبغي

العاقل ان يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عواره فان فكر المتيقظ يسبق
قبل مباشرة المرأة الى انه اعتنا قبيحة يحتوي على قذارة وقبل بلع اللقمة
انها مثقلة في الريق لو اخرجها الانسان فيها قرب الموت ويجري عليه
بعده لبغض عاجل لذته فلا بد من مغالطة تجري لينتفع الانسان بعيشه
كما قال لبيد ∴ فاكذب النفس اذا حدثتها ∴ ان صدق النفس يزري بالامل
وقال الاعشى ∴ اذا طبعك المكدود بالهم راحة ∴ تجم وعللم بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته ذاك فليكن ∴ بمقدار ما يعطى الطعام من الملح ∴ وقال ابو علي ابن السل
∴ اذا لمت فتاج نفسك بالمنى ∴ وعلل بخيرات الجنان عداتي ∴
∴ واجعل رجاك دون يأسك جنة ∴ حتى تزول بهمك الاوقات ∴
∴ واسترح عن الجلساء بشك انهم ∴ جلساؤك الحساد والشمات ∴
∴ ودع التوقع للحوادث انه ∴ للحي من قبل الممات ممات ∴
∴ فالهم ليس له ثبات مثل ما ∴ في اهله للدهر من ثبات ∴
∴ لولا مغالطة النفوس عقولها ∴ لم يصف للمتيقظين حياة ∴

وقال ايضا

∴ يحفظ الجسم تبقى النفس فيه ∴ بقاء النار يحفظ بالوعاء ∴
∴ فبالياس المضر فلا تمتها ∴ ولا تمدد لها طول الرجاء ∴
∴ وعدها في شدايدها رخاء ∴ وذكرها الشدايد في الرخاء ∴
∴ تعد صلاحها هذا وهذا ∴ وبالتركيب منفعة الدواء ∴

وقد كان عموم السلف يخضبون الشيب لان لا يرى الانسان منهم ما يكره
وان كان الخضاب لا يعدم النفس علمها بذلك وكلتم نوع مخادعة للنفس
وما الت ترى الظاهر وانما المكر والعقل مع الغايب ولا بد من مغالطة
تجري ليتم العيش ولو عمل العامل بمقتضى قصر الامل ما كتب العلم ولا اصنف
فافهم هذا الفصل مع الذي تقدم ظن الاقل في مقام الغريمة وهذا في يكان

الرخصة ولا بد للتعب من راحة ولعادة والله عز وجل على قدم صدق
التطلب وقوة الجاه وخلع الحول والقوة وهو الموفق

بلغ

فصل في تعليم التدبير قوام الآدمي بشيئين الحرارة والرطوبة ومن شان الحرارة ان تحلل
الرطوبة وتفنيها فالآدمي يحتاج الى تحصيل خلف المتحلل فابدان الشو
اذهي الشباب تغتذي باكثر مما يتحلل منها والابدان المتناهية تغتذي
بمقدار ما يتحلل منها والابدان التي قد اخذت في الهرم يتحلل منها اكثر مما
تغتذي به فينبغي للشو البالغ ان يتحفظ في النكاح لا ترى قاعدة قوة
يجد اثرها في الكبر واما المتوسط والواقف السن فينبغي ان يحذر فضول
الجماع فان من حصل له مثل يخرج منه فاشرف احد من الحاصل ولو شد ان
يسرع النفاد واما الشيخ فيترك النكاح كالآزم له خصوصا اذا زاد على السن
لا ترى نفق من الجوهر الذي لا يحصل مثله ابدا ثم ينبغي ان ينظر العاقل في
ماله فيكتسب اكثر مما ينفق ليكون الفاضل مدخرا لوقت العجز وليحذر الترف
فان العدل هو الاصلح ثم ينظر في الزوجة والمطلوب منها شيئان وجود
الولد وتدبير المنزل فاذا كانت مبذرة فعيب لا يحتمل فان انضمت صفة
العقل فلا وجه للامساك الا ان تكون مستحسنة الصورة فان ضم عقل وعفاف
حسن الامساك وان كانت مما يحتاج ان يحفظ فتركها لازم فاما الخدمة
فليجتهد في تحصيل خادم لا تستعبده الشهوة فان عبد الشهوة له
مولا غير سيده وليتظر المالك في طبع المملوك فمنهم من لا يأتي الا على
الاكرام فيكرمه فانه يربح محبته ومنهم من لا يأتي الا على الاهانة فليديره
وليعرض عن الذنوب فان لم يمكن عاتب بلطف وليحذر العقوبة راحة
والعجب ممن يعنى بدابته وينسى ملازمات حاريته واجود المماليك الصغار
وكذلك الزوجات لانهم معقودون من خلق المشتري وليحفظ نفسه بالهيبة من
الاخبا فاما الزوجة ولا يطلعها على ماله فانها سفيهة تطلب كثرة الانفاق

واما تدبير الاولاد فحفظهم من مخالطة تفسد ومتى كان الصبي صبيا ذا نفر رجي خيره ويحمل على صحبة الاشراف والعلماء ويحذر من مصاحبة الجهال والسفهاء فان الطبع لص ويحذر الصبي من الكذب غاية التحذير ومن المخالطة للصبيان ويوصه بزيادة البر للوالدين ويحفظ من مخالطة النساء فاذا بلغ فليتزوج بصبية لم تعرف غيره فيتفقان فينتفعان هذه الاشارة الى تدبير امور الدنيا فاما تدبير العلم فينبغي ان يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث ويحصل له المحفوظات اكثر من المسموعات لان زمان الحفظ الى خمس عشرة سنة فاذا بلغ ثمانية عشر فليضرب تارة ويرشي اخرى ليبلغ وقد حصل محفوظات سنيه فاول ما ينبغي ان يكلف حفظ القرآن متقنا فانه يثبت ويختلط باللحم والدم ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن ثم الفقه مذهبا وخلافا وما امكن بعد هذا من العلوم حفظ حسن ويحذر من عادات اصحاب الحديث فانهم يفنون الزمان في سماع الاجزاء التي تشكر فيها الاحاديث فيذهب العمر وما حصلوا فهم شيء فاذا بلغوا سنا طلبوا جواز فتوى او قراءة جزء من القرآن فعادوا القهقري يحفظون بعد كبر السن فلا يحصل مقصودهم فالحفظ في الصبا للصبي من العلم اصل عظيم وقد رايت كثيرا ممن تشاغل بالمسموعات وكتابة الاجزاء ورأى الحفظ صعبا فمال الى الاسهل فمضى عمره في ذلك فلما احتاج الى نفسه قعد يحفظ على كبر فلم يحصل مقصوده فالبقية تفهم من ذكرت والنظر في الاخلاص مما ينفع دونه **فصل** اشتد الغلاء ببغداد في اول سنة خمس وسبعين وكلما جاء الشعر زاد فتواقع الناس على شراء الطعام فاغتبطت باستعداد كل سنة بزرع ما يقوته وفرح من بادر في اول النيسان الى اشتراء الطعام فانه يضاعف ثمنه واخرج للفقراء ما في بيوتهم فرموه في سوق الهوان وبان ذل نفوس كانت عزيزة فقلت يا نفس خذي من هذه الحال

اشارة ليغتبط من له عمل صالح وقت الحاجة اليه وليفرح من له جواب عند اقبال المسألة وكل الويل على المفرط الذي لا ينظر في عاقبته فتنبهي فقد نبهت ناس الله نبيا على امر الاخرة وبادري موسم الزرع ما دامت الروح في البدن فالزمان كلمة نشرين قبل ان يدخل نيسان الحصاد ومالك زرع وحاجة المفتقرين الى اموالهم تمنعهم من الايثار **فصل** تاملت حالة انعجتني وهو ان الرجل قد يفعل مع امراته كل جميل وهي لا تحبه وكذا يفعل مع صديقه والصديق يبغضه وقد يتقرب الى السلطان بكل ما يقدر عليه والسلطان لا يوثره فيبقى متحيرا يقول ما حيلتي فخفت ان تكون هذه حالتي مع الخالق سبحانه اتقرب اليه وهو لا يريدني وربما يكون قد كتبني شقيا في الازل ومن هذا خاف الحسن فقال خاف ان يكون اطلع علي في بعض ذنوبي فقال لاغفرت لك فليس الا القلق والخوف لعل سفينة الرجا تسلم يوم دخولها الشاطئ من جرف **فصل** جرى بيني وبين اصحاب الحديث كلام في قول الامام احمد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة حديث الفحديث فقلت له انا بعين به الطرق فقال لا الا المتون فقلت هذا بعيد التصور ثم رايت لابي عبد الله الحاكم كلاما ينصر ما قال ذلك الشخص وهو في كتاب المدخل الى كتاب الاكليل كيف يجوز ان يقال ان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عشرة الاف حديث وقد روي عنه من اصحابه اربعة الاف رجل وامراة صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة ثم بالمدينة حفظوا اقواله وافعاله ونومه ويقظته وحركاته وغير ذلك سوى ما حفظوا من احكام الشريعة وحلله واحتج بقول احمد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة الفحديث وكان اسحق ابن راهويه كان يملي سبعين الفحديث حديثا حفظا وان ابا العباس ابن عقدة قال احفظ لاهل البيت ثلثمائة الفحديث قال ابن عقدة وظهر لابن كريب بالكوفة ثلثمائة الفحديث

قلت ولا يحسن ان يشار بهذا الى المتون وقد عجبت كيف خفي هذا على
الحاكم وهو يعلم ان اجمع المسانيد الظاهرة مسند احمد ابن حنبل وقد طاف
الدنيا مرتين حتى حصله وهو اربعون الف حديث منها عشرة الاف
مكررة قال حنبل ابن اسحق جمعنا احمد ابن حنبل اناوصالحا وعبد الله
وقرا علينا المسند وقال لنا هذا كتاب قد جمعته من اكثر من سبعمائة الف
وخمسين الفا فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فارجعوا اليه فان وجدتموه والا فليس بحجة افترى يخفى على متيقظ انه اراد
بكونه جمعه من سبعمائة الف انه اراد الطرق لان السبع المائة الالف ان كانت
من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اهملها فان قيل فقد اخرج في مسنده
اشياء ضعيفة ثم اعوذ بالله ان يكون سبعمائة الف ما يحقق منها سوى ثلاثين
الفا وكيف ضاعت هذه الجملة ولم اهملت وقد وصلت كلها الى زمن احمد
فالتقى منها وبقي الباقي واصحاب الحديث قد كتبوا كل شيء من الموضوع
والكذب وكذلك قال نواد وجمعت السنن من ستمائة الف حديث ولا
يحسن ان يقال ان الصحابة الذين رووها ماتوا ولم يحدثوا بها التابعين فان
الامر قد وصل الواحد فاحصى سبعمائة الف حديث وما كان الامر ليذهب
هكذا عاجلا ومعلوم انه لوجمع الصحيح والحال الموضوع وكل منقول عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ خمسين الفا فاين الباقي ولا يجوز ان يقال تلك
الاحاديث كلام التابعين فان الفقهاء نقلوا مذاهب القوم ودونوها
واخذوا بها ولا وجه لتركها فعلى كل ذي لب ان الاشارة الى الطرق وان
ما توهمه الحاكم فاسد ولو عرض هذا لاعتراض عليه وقيل له فاين الباقي
لم يكن له جواب لكن الفهم عزيز والله المنعم بالتوفيق ومثل هذا تخييل قوم
قالوا ان البخاري لم يخرج كل ما صح عنده وانما اخرج كالانموذج والا فكان
يطول وهذا ذهب اليه ابو بكر الاسماعيلي وحكي عن البخاري انه قال

وقد يليه

ما تركت

لعله
وسلما

ما تركت من الصحيح اكثر وهما يعني الطرق يدل على ما قلته ما قاله ان الدارقطني
سيد الحفاظ جمع ما يلزم البخاري ومسلم اخراجه مما لم يذكراه احاديث
يسيرة ولو كان كما قالوا لاخرج مجلدات ثم قوله ما يلزم البخاري دليل
صريح على ما قلته لانه من اخرج الانموذج لا يلزمه شيء وكذلك اخرج ابو
عبد الله الحاكم كتابا جمع فيما يلزم البخاري اخراجه فذكر حديث الطاير
فلم يلتفت الحفاظ الى ما قال فما اقل فهم هؤلاء الذين شغلهم الحديث
من التدقيق الذي لا يلزم في صحة الحديث وانما وقع لقلة الفقه والفهم
ان البخاري ومسلم تركا احاديث اقوام ثقات لانهم خولفوا في الحديث
فنقص الاكثرون من الحديث وزادوهم ولو كان ثم فقيه لعلموا ان الزيادة من
الثقة مقبولة وتركوا احاديث اقوام لانهم انفردوا بالرواية عن شخص
ومعلوم ان انفراد الثقة لا عيب فيه وتركوا من ذلك الغرائب وكل ذلك
سوء فهم ولهذا لم يلتزم الفقهاء هذا وقالوا الزيادة من الثقة مقبولة
ولا يقبل القدح حتى يبين سببه وكل من لم يخالط الفقهاء وجهد مع
التحدثين تاذى وساء فهمه فالحمد لله الذي انعم علينا بالحالتين

فصل

اعلم ان الله عز وجل وضع في النفوس اشياء لا تحتاج الى دليل فالنفوس
تعلمها ضرورة واكثر الخلق يحسنون التعبير عنها فانه وضع في النفس
ان المصنوع لا بد له من صانع وان المبني لا بد له من بان وان الاثنين
اكثر من الواحد وان الجسم الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة
ومثل هذه الاشياء لا تحتاج الى دليل والفهم العرب النطق بالصواب
من غير لحن فهم يفرقون بين المرفوع والمنصوب بما جبلت في جبلتهم وان
عجزوا عن النطق بالعلة قال عثمان ابن جني سالت يوما اباعبد الله
محمد ابن العساف العقيلي فقلت كيف تقول ضربت اخوك فقال اقول
ضربت اخاك فاورية على الرفع فابى وقال لا اقول اخوك ابدا قال

فكيف اقول ضربني لحوك فرفع فقلت اليس زعمت انك لا تقول لخوك ابدا
فقال ايش هذا اختلفت جهتهما في الكلام وهذا دل شيخ على تاملهم مواقع
الكلام واعطائهم اياه في كل موضع حقه وانه ليس استرسالا ولا ترخيما قال
عثمان واللغة هي اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم والنحو انتحاء سمت
كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير
وغير ذلك ليلحق من ليس من اهل اللغة اهلها **فصل** مفيد تدبرت احوال
الاخيار والاشرار فرايت سبب صلاح الاخيار النظر وسبب فساد الاشرار اهمال
النظر وذلك ان العاقل ينظر فيعلم انه لابد له من صانع وان طاعته لازمة ويتامل
معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم قياده الى الشرع ثم ينظر فيما يقربه اليه
ويزلفه لديه فاذا شق عليه اعادة العلم تامل ثمرته فسهل عليه واذا صعب عليه
قيام الليل فكذلك واذا راى شهوتي تامل عاقبتها فعلم ان اللذة تفنى والعار
والاثم يبقى فيسهل عليه الترك واذا اشتهى الانتقام ممن يوذيه ذكر ثواب الصبر
وندم الغضبان على افعاله في حال الغضب ثم لا يزال يتامل سرعة ممر العمر
فيغتنمه بتحصيل افضل الفضايل فينال المنى واما الغافل فانه لا يرى الا
الشيء الحاظر فمنهم من لم يتامل معنى المصنوع واثبات الصانع فجحدوا وتركوا
النظر فجحدوا الرسل وما جاؤا به ونظروا الى العاجل ولم يتفكروا في مبداه
ومنتهاه فليس عندهم من عرفان المطعم الا الاكل ولو تاملوا كيف انشى
ولماذا جعل حافظا للابدان لعرفوا حقايق الامور وكذلك كل شهوة
تعرض لهم لا ينظرون في عاقبتها بل في عاجل لذتها وكم قد حدث عليهم
من وقوع حد وقطع يد وفضيحة فتعجيل اللذة يفوت الفضايل ويحصل
الرذايل وسبب عدم النظر في العواقب وهذا شغل العقل وذاك المذموم
شغل الهوى نسئل الله عز وجل بفطرة ترينا العواقب وتكشف لنا الفضايل
والمعايب انه قادر على ذلك **فصل** خلقت لي همة عالية تطلب الغايات

نعلت

فعلت السن وما بلغت ما املت فاخذت اسال تطويل العمر وتقوية البدن
والتلذذ ببلوغ الامال فانكرت على العادات وقالت ما جرت عادة بما تطلب
فقلت انما اطلب من قادر خرق العادات وقد قيل لرجل لنا حوجة
فقال اطلبوها رجيلا وقيل لآخر جيناك في حاجة تروك فقال هل
لاطلبتم لها سقاف الناس فاذا كان اهل الآفة من اهل الدنيا يقولون
هذا فلم لا اطمع في فعل كريم قادر وقد سالته هذا السؤال في ربيع الآخر
من سنة خمس وسبعين فان مدتي اجل وبلغت ما املته فقلت هذا الفصل
الى ما بعد وبيضته واخبرت ببلوغ امالي وان لم يتفق ذلك فسيدي اعلم
بالمصالح فانه لا يمنع بخلا ولا حول الا به **فصل** ما اقل من يعمل لله
خالصا لان اكثر الناس يحبون ظهور عباداتهم وسفيان الثوري كان يقول
لا اعتد بما ظهر من عملي وكانوا يسترون انفسهم واليوم ثياب القوم
تشهرهم وقد كان ايوب السختياني يطول قميصه حتى يقع على قدميه
ويقول كانت الشهرة في التطويل واليوم الشهرة في التقصير فاعلم ان ترك
النظر الى الخلق وهو الجاه من قلوبهم بالتعلل واخلاص القصد وستر
الحال هو الذي رفع من رفع فكان احمد بن حنبل يمشي حافيا في وقت
ونعله في يديه ويخرج اللقاط ويبشر يمشي حافيا على الدوام وحده في معروف
يلقط النوى واليوم صارت الرياسات اكثر من كل حاجب وما تمكن
الرياسات حتى يتمكن من القلب الغفلة وروية الخلق ونسيان
الحق فحينئذ تطلب الرياسة من اهل الدنيا ولقد رايت من الناس
عجبا حتى رايت من يتزيا للعلم ان رآني امشي وحدي انكر علي وان
رآني ازور فقيرا عظم ذلك وان رآني انبسط بتبسم تنقصت من عينه
فقلت واعجبا هذه كانت طريق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين
فصارت احوال الخلق فاليس لاقامة الجاه لاجرم والله سقطهم من

بعد ملابت

للقاط

عين الحق فاسقطكم من عين الخلق فكم ممن يتعب في تربيتنا موس
ولا يلتفت اليه ولا يحظى بمراده وبغوية المراد الاكبر فالتفتوا اخواني الى اصلاح
النيات وترك التزين للخلق ولكن عليكم الاستقامة مع الخلق فبذلك
صعد السلف وسعدوا واياكم وما الناس عليه اليوم فانه بالاضافة الى
يقظة السلف نوم **فصل** والله ما ينفع تاديب الوالد اذا لم يسبق
اختيار الخالق لذلك الولد فانه سبحانه اذا اراد شخصا نباه من طفولته
وهداه الى الصواب ودله على الرشاد وحبب اليه ما يصلح وصحبه من
يصلح ويغض اليه ضد ذلك وقبح عنده سفساف الامور وعصمه من
القبائح واخذ بيده كلما عثر واذا ابغض شخصا تركه دائم التشير متخبطا
في كل حال ولم يخلق له عناية لطلب المعالي وشغله بالرذايل عن الفضايل
وان قالم خصصت بهذا قال الخطاب الذي لا يجاب بما كسبت ايديكم
فصل من اكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه ان هذه النفس الناطقة
المميزة المحركة للبدن على مقتضى ارادتها ودبرت مصالحها وتوقت
الى معرفة الافلاك واكتسبت ما امكن تحصيله من العلوم وشاهدت
الصانع في المصنوع فلم تحبها ترى وان تكاثف لا يعرف مع هذا ماهيتها
ولا كيفيتها ولا جوهرها ولا محلها اسفالها ولا يفهم من اين جاءت ولا
يدري اين تذهب ولا كيف تعلقت بهذا الجسد وهذا كله يوجب عليها
ان تعتقد ان لها مدبرا وخالقا وكفى بذلك دليلا عليه اذ لو كانت وجدت
بما خفيت احوالها عنه فسبحانه سبحانه **فصل** سبحان من من
على الخلق بالعلماء الفقهاء الذين فهموا مقصود الامر ومراد الشارع
فهم حفظة الشريعة فاحسن الله جزاءهم وان الشيطان ليتحاماهم
خوفا منهم فانهم يقدرون على اذاه وهو لا يقدر على اذاهم ولقد تلاعب
باهل الجهل والقلة في الفهم وكان من عجب تلاعبه ان حسن الاقوام ترك

العلم

العلم ثم لم يقنعوا بهذا حتى قدحوا في المشاغلين به وهذا لو فهموه قدح في
الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بلغوا عني وقد قال الله رب
عز وجل بلغ واذا لم يتشاغل بالعلم فكيف يبلغ الشريعة الى الخلق ولقد
نقل مثل هذا عن كبار الزهاد كبشر الحافي فانه قال لعباس بن عبد العظيم
لا تجالس اصحاب الحديث وقال اسحق بن الضيف اتاك صاحب حديث
فاحب ان لا تعود الي ثم تعذر فقال اما الحديث فنعم لا لمن اراد الله به
اذا لم يعمل به فذكره افضل وهذا اعجب منه من اين لهم ان طلابه لا يريدون الله
بعلمهم لا يعملون به وليس العمل به على ضربين عمل يجب وذلك
لا يسع احدا تركه والثاني نافلة ولا يلزم والتشاغل بالحديث افضل من
التنفل بالصوم والصلاة وما اظنه اراد الا الطريقة فمداوم الجوع والتهجد
وذلك شيء لا يلام تاركه فان كان يريد ان لا يوغل في علوم الحديث فهذا
خطا لان جميع اقسامه محمودة افترى لو ترك الناس طلب الحديث كان
بشر يغني فالله الله في الالتفات الى قول من ليس بفقيه ولا يهولنك تعظيم
اسمه فالله يعفو عنه **فصل** العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل
وان غضب الخلق وكل من يحفظ المخلوقين ويضيع حق الخالق يقلب
الله قلب الذي قصد ان يرضيه فيسخطه عليه قال المامون لبعض
اصحابه لا تعص الله بطاعتي فيسلطني عليك ولما بالغ طاهر ابن
الحسين فيما فعل بالامين وفتك به وصلب راسه وان كان ذلك عن ارادة
المامون ولكن بقي اثر ذلك في قلبه فكان لا يقدر ان لا يراه ولقد دخل عليه
يوما فبكى المامون فقال له طاهر لم تبكي لا ابك الله عينك فلقد
دانت لك البلاد فقال ابكي لامر ذكره ذل وستر حزن ولن يخلو احد من
شجن فلما خرج طاهر بعث الحسين الخادم مائتي الف درهم وسأله ان
يسأل المامون لم بكى فلما تغدى المامون قال يا حسين اسقني قال

/

لا والله لا اسقيك حتى تقول لي لم بكيت حين دخل عليك طاهر قال
يا حسين وكيف عنيت بهذا حتى سألت عنه قال لغمي بذلك قال يا حسين
امران خرج من رأسك قلت ذلك يا سيدي ومتى اخرجت لك سرا
قال اني ذكرت اخي محمدا وما ناله من الذلة فاخذتني العبرة فاسترحت الى
افاضتها ولن يفوت طاهرا ما يكره فاخبر حين طاهرا بذلك
وكتب طاهر الى احمد بن ابي خالد فقال له ان المعروف عندي ليس بضايع
فغيبني عن عينه قال سأفعل فدخل على المامون فقال ما بك البارحة قال
ولم قال لانك وليت غسان ابن عباد خراسان وهو من معه اكلة راس
فاخاف ان يخرج خارج من الترك فيصطلمه قال فمن ترى قال طاهر ابن
الحسين فعقد له فمضى فبقي مدة ثم قطع الدعاء للمامون على المنبر
يوم الجمعة فقال له صاحب البريد ما دعوت لامير المؤمنين قال سهو
فلا تكتب ففعل ذلك في الجمعة الثانية والثالثة فقال له لابد ان اكتب لئلا
يكتب التجار ويسبقوني قال اكتب فكتب فدعى المامون احمد ابن ابي خالد
وقال انه لم يلهه على اخيك في امر طاهر وانا اعطي الله عهدا ان لم تشخص
حتى توافيني به كما اخرجته من قبضتي لتدس من عقبك فتشخص وجعل يتلوم
في الطريق ويعتل بالمرض فوصل الى الري وقد بلغته وفاة طاهر قلت ولما
خرج الراشد من بغداد واراد ولاية المقتفي شهد جماعة من الشهود بان
الراشد لا يصلح للخلافة فنزعوه وولي المقتفي فبلغني ان ذكر المقتفي بعض
الشهود فذمه وقال كان فيمن اعان على ابي جعفر وعلى ضد هذا كل من يريد اعلى
جلب الحق والصواب يرضي عنه من سخط عليه ولقد حدثني الوزير ابن هبيرة
ان المستنجد بالله كتب اليه كتابا وهو ولي عهد واراد ان يستره من ابيه
قال فقلت للمواصل م والله ما يمكنني اقراءه ولا اجيب عنه فلما ولي الخلافة
دخلت عليه فقلت اكبر دليل على صدقي واخلاصي ما جاءك من كتابك

في ابيك

ابيك فقال صدقت انت الوزير وحدثني بعض الاصدقاء ان قوما لهم الحق
الى المخزن بعض دين لهم يستخلص فقال المسترشد لصاحب المخزن خلصه لهم
وخذ ما ضمنوا لنا فاحضر ابن الرطبي وعرض الامر عليه فقال هذا امر
مظلم وما احكم فيه فقال ان السلطان قد تقدم قال ما افعل فاحضر قاضيا
آخر فبت الحكم فاخبر الخليفة بالحال فقال اما ابن الرطبي فيشكر على ما قال
واما الآخر فيعزل وذلك لانه بان له ان لحق ما قاله ابن الرطبي وكذلك
ما طلبه السلطان من ان يلقب ملك الملوك فاستفتى الفقهاء فاجابوا
ذلك وامتنع من اجازته الماوردي فعظم قدره عند السلطان ومثل هذا
اذا تبع كثير فينبغي ان يحسن القصد لطاعة الخالق وان سخط المخلوق فانه
يعود غرادا لا يسخط الخالق ولا يسخط الخالق فانه يسخط المخلوق فيفوت
الحظان جميعا فصل مفيد ينبغي للعاقل ان ينظر الى الاصول فيمن
يخالطه ويعاشره ويشاركه ويصادقه ويزوجه او يتزوج اليه ثم ينظر بعد
ذلك في الصور فان صلاحها دليل على صلاح الباطن اما الاصول فان
الشبئ يرجع الى اصله ويعيد ممن لا اصل له ان يكون فيه معنى مستحسن
وان المراة الحسناء اذا كانت من بيت رديء فقل ان تكون صبية وكذلك
المخالط ايضا المخالط والصديق والمباضع والعاشر فاياك ان تخالط
الا من له اصل يخاف عليه الدنس فالغالب السلامة وان وقع ذلك كان
نادرا وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل اشر علي فيمن استعمل
فقال اما ارباب الدين فلا يريدونك واما ارباب الدنيا فلا ترديهم
ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم عما لا يصلح وقد روى
ابو بكر الصولي قال حدثني الحسين ابن يحيى عن اسحاق قال دعاني المعتصم
يوما فادخلني معه الحمام ثم خرج فخلا بي وقال يا ابا اسحاق في نفسي شيء
اريد ان اسألك عنه ان اخي المامون اصطنع قوما فلجوا واصطفيت انا

مثلهم فلم يجبوا قلت ومنهم قال اصطنع طاهر وابنه واسحاق وآل سهل فقد رايت
كيف هم واصطنعت انا الافشين فقد رايت الى ما آل امره واساس فلم اجد شيئا
وكذلك اتباح ووصيف قلت يا امير المؤمنين ها هنا جواب على امان من الغضب
قال لك ذلك قلت نظر اخوك الى الاصول فاستعملها فاجبت فروعها
واستعملت فروعا لا اصول لها فلم تنجب فقال يا ابا اسحاق مقامات ملمرت
لطول هذه المدة اهون علي من هذا الجواب واما الصور فانه متى صحت
البينة ولم يكن فيها عيب فالغالب صحة الباطن وحسن الخلق ومتى كان
فيها عيب فالعيب والباطن ايضا فاحذر من مراعاة كالاقرع والاعمى
وغير ذلك فان بواطنهم في الغالب رديئة ثم مع معرفة اصول المخالطة وكمال
صورته لابد من التجربة قبل المخالطة واستعمال الحذر لازم وان كان كما
ينبغي **فصل** ينبغي ان يكون شغل العاقل النظر في العواقب والتحرز مما
يمكن ان يكون ومن الغلط النظر في الحالة الحاضرة كالموافق لمعاشه ولصحة
بدنه وربما يجري له محبوبه فينبغي ان يعمل على انقطاع ذلك فيكون
مستعد التغيير الاحوال وكذلك النظر في لذة تفنى ويبقى تبعتها وعارها
واثار الكسل والدعة لما يجيء من بقاء الجهل وكذلك تحصيل المرادات التي
لا تحصل الا بالتلطف في الاحتيال خصوصا اذا اريد من ذكي فانه يفطن
قبل تلوح فمن اراد غلبة الذكي دقق النظر وتلطف في الاحتيال وقد ذكر
في كتب الحيل ما يشحذ الخواطر واتينا بجملة منه في كتاب الاذكياء مثل
ما روي ان رجلا من الاشراف كان لا يقوم لاحد ولا يفشي احدا فجاز
عليه بعض الوزراء فلم يرد ولم يقم فقال ذاك الوزير لرجل اخبر فلانا اني
قد كلمت امير المؤمنين في حقه وقد امر له بمائة الف فليحضر ليقبضها فاخبره
ذلك الرجل فقال ان كان امر لي بشيء فليس ذلك هامة قصوره ان يضع مني
بالتردد عليه فمتى وقع للانسان مع ذكي فينبغي ان يتحرز منه ويشرف اغراضه

بصنوف الاحتيال وينظر فيما يجوز وقوعه فليتحرز منه كما ينظر
صاحب الرقعة النقلات وكثير من الاذكياء لم يقدروا على اعراضهم
من ذكي فاعطوه وبالغوا في اكرامه ليصيدوه فان كان قليل الفطنة
وقع في الشراك وان كان اقوى منهم ذكاء علم ان تحت هذه الخبيثة
خبيئة فزاده ذلك احترازا واقوى ما ينبغي ان يكون الاحتراز من
موتور فانك اذا اذيت شخصا فقد غرست في قلبه عداوة فلا تامن
تفريع تلك الشجرة ولا تلتفت الى ما يظهر من ود وان حلف فان قاربته
فكن منه على حذر **فصل** في حفظ السر رايت اكثر الناس لا يتمالكون
من افشاء سر سمع فاذا ظهر عاتبوا من اخبروه به فواعجبا كيف
ضاق الجسم ذرعا عن امر من افشاه وفي الحديث استعينوا على
امورهم بالكتمان ولعمري ان النفس يصعب عليها كتم الشيء وترى
بافشائه راحة خصوصا اذا كان هما او مرضا او عشقا وهذه
الاشياء في افشائها قرينة انما اللازم كتمان احتيال المحتال فيما يريد
ان يحصل به غرضا فان من سوء التدبير افشاء ذلك قبل تمامه فانه
اذا ظهر بطل ما يراد ان يفعل ولا عذر لمن افشى هذا النوع وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا ورى بغيره فان قال قائل انما
احدث قيل له ٥ وكل حديث جاوز اثنين شاع وربما لم يكتم
صديقك وكم قد سمعنا بمن حدث من الملوك بالقبض على
صاحب فنم الحديث الى الصاحب وهرب فقات السلطان مراده
وانما الرجل الحازم الذي لا يعد اداه سرة ولا يفشيه الى احد ومن العجز افشاء
السر الى الولد والزوجة والمال من جملة السر فاطلاعهم عليه ان كان كثيرا فربما
تمنوا هلاك الموروث وان كان قليلا بزروا بوجوده وربما طالبوا من الكثير
على مقدار كثرته فاتلفته النفقات وسر المصايب جملة من كتمان السر لان

لان اظهارها يسر الشامت ويولم المحب وكذلك ينبغي ان يكتم مقدار
السن لانه ان كان كبيرا استهزء وان كان صغيرا احتقره وما قد
انهال فيه كثير من المفرطين انهم يذكرون بين اصدقائهم اميرا وسلطانا
فيقولون فيه فيبلغ ذلك اليه فيكون سبب الهلاك وسبحان من الرجل من
صديقه اخلاصا وافيا فاشاع سره اليه وقد قيل ٭ احذر عدوك مرة ٭
واحذر صديقك الف مرة ٭ فلربما انقلب الصديق ٭ فكان ادرى بالمضرة ٭
ورب مفشي سره الى زوجة او صديق فيصير ذلك رهينا عنده ولا
يتجاسر ان يطلق الزوجة ولا ان يهجر الصديق مخافة ان يظهر سره القبيح
فالحازم من عامل الناس بالظاهر فيضيق سره في صدره فان فارقته امراة
او صديق او خادم ولم يقدر احد منهم ان يقول فيه ما يكره ومن اعظم الاسرار
الخلوات فالحذر الحازم فيها والحذر من الانبساط بمرأى من خلوقا ومن
خلق له عقل ثاقب دله على الصواب قبل الوصايا **فصل** ما رايت اصعب على
النفس من الحفظ للعلم والتكرار وخصوصا تكرار ما ليس لها في نفس تكراره حظ
مثل مسايل الخلاف بخلاف الشعر والسجع فان لها لذة في اعادته وان كان مما
يصعب لانها تلتذ به مرة ومرتين فاذا زاد التكرار صعب عليها ولكن دون
صعوبة الفقه وغيره من المستحسنات عندها خلد الى الحديث
والشعر والتصانيف والنسخ لانه يمر بها كالحظة ما لم تره فهو في المعنى كالماء الجاري
لانه يمر بها جزء بعد جزء وكذا من نسخ ما حبب ان يسمعه او يصنف فانه
يلتذ بالجدة ويستريح من تعب الاعادة الا انه ينبغي للعاقل ان يكون جل
زمانه للاعادة خصوصا الصبي والشاب فانه يستقر المحفوظ عندهما
استقرارا لا يزول ويجعل اوقات التعب من الاعادة للنسخ ويحذر من
تقلبها الى النسخ عن الاعادة فيقصرها فانه جد ذاك حد السرى وقت
الصباح وسيد من لم يحفظ ندم الكسعي وقت الحاجة الى النظر ٢

والفتوى

والفتوى وفي الحفظ نكتة ينبغي ان يكون تحصيل تلخيص وهو ان الفقيه
يحفظ الدرس ويعيده ثم يتركه فينساه ثم يحتاج الى زمان آخر لحفظه
فينبغي ان يحكم الحفظ ويكثر التكرار لتثبت قاعدة الحفظ **فصل** ما عرف
نفعا كالعزلة عن الخلق خصوصا للعالم والزاهد فانك لا تكاد ترى الا شاما
نكبة او حسودا على نعمة ومن ياخذ عليك غلطاتك فيا للعزلة ما الذها
سلمت من كدر غيبة وافات تصنع واحوال المداجات وتضييع الوقت ثم
خلا فيها القلب بالفكر لانه مستلذه عنه بالمخالطة فتدبر امور دنياه وآخرته
فمثله كمثل الجنة يخلو فيها المعا الاخلاط فتذيبها وما رايت مثل ما يصنع
المخالطة [illegible] لا تدري حالة الحاظرة من لقاء الناس وكلامهم فيشتغل
بها عما بين يديه فمثله كمثل رجل يريد سفرا قد ازف فجالس اقواما فشغلوه
بالحديث حتى ضرب البوق وما تزود فلم يكن في العزلة الا التفكر في زاد
الرحيل والسلامة من شر المخالطة كفى ثم للعزلة على الحقيقة الا للعالم والزاهد
فانهما يعلمان مقصود العزلة وان كانا لا في عزلة واما العالم فعلمه يؤنسه
وكتبه محدثة والناظر في سير السلف مقومة والتفكر في حوادث الزمان السابق
فرجته فان ترقى بعلمه الى مقام المعرفة الكاملة الخالق سبحانه وتثبت
باذيال محبته تضاعفت لذاته واشتغل بها عن الاكوان وما فيها فخلا
بحبيبه وعمل معه بمقتضى علمه وكذلك الزاهد تعبده انيسه ومعبوده
جليسه فان كشف له بصره عن المعمول معه غاب عن الخلق وغابوا عنه انما
اعتزلا ما يؤذي فهما في الوحدة بين جماعة فهنالك رجلان قد سلما
من شر الخلق وسلم الخلق من شرورهما بل هما قدوة للمتعبدين وعلم
للسالكين ينتفع بكلامهما السامع وتحرك موعظتهما المدامع وتنتشر
هيبتهما في الجامع فمن اراد يقظة باعثها فليصل الخلوة واذكرها
ليتم الصبر العمل ونعوذ بالله من عالم مخالط للعالم خصوصا لارباب

والسدد على يجتلب ويجتلب ويختلب فما يحصل له شيء من الدنيا
الا وقد ذهب من دينه امثاله ثم اين الاثم من الذل للفساق فالذي لا يبالي
بذلك هو الذي لا يذوق طعم العلم ولا يدري ما المراد به وكأنه به
وقد وقع في بادية سرخس وفقراء هملك في تلك البراري وكذلك المترصد
لادخار خطط فانه يخرج الى الرياء والتصنع والنفاق فيفوته الحظان
لا الدنيا ونعيمها تحصل له ولا الآخرة فنسئل الله عز وجل خلوة وعزلة
عن الشر لذة يستصلحنا فيها لمناجاته ويلهمنا كلا مما طلب بغاته انه
قريب مجيب **فصل** ما بال من لا يعلم متى يأتيه الموت وهو لا يستعد
للقائه واشد الناس بلها وتغفيلا من قد عبر الستين وقارب السبعين
فان ما بينهما هو معترك المنايا ومن تأمل المعترك استعد وهو غافل
عن الاستعداد **بيت مفرد** قال الشباب لعلنا في شيبنا
نمع الذنوب فما يقول الاشيب ∴ ∴ والدهر الضحوك من الشيخ مالئ
معنى ∴ وان الزاج مبرد المعنى ∴ وان تعرضه بالدنيا وقد دفعته عنها
يضعف القوى ضعف في الورى وهل بقي لابن ستين منزل فان طمع
في السبعين فانما يرتقي اليها بعناء شديد ان قام دفع الارض وان مشى
لهث وان قعد تنفس ويرى شهوات الدنيا ولا يقدر على تناولها فان
اكل كد المعدة وصعب الهضم وان وطئ اذى المرأة ووقع دنفا لا يقدر على رد
ما ذهب من القوة الى مدة طويلة فهو يعيش عيش الاسير فان طمع في
الثمانين فهو يرجو المحال رجوع الصغير ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴
∴ وعشر الثمانين من خاضها ∴ فان المسلمات منها فنون ∴
فالعاقل من فهم معاد يوم الزمان فانه فما قبل البلوغ صبي ليس على عمره
عيار الان يوزن فطنة ففي بعض الصبيان فطنة تحثهم من الصغر على
اكتساب الكمال والعلوم فاذا بلغ فليعلم ان زمان المجاهدة للهوى وتعلم

العلم

العالم فاذا رزق الاولاد فهو زمان الكسب للمعاملة فاذا بلغ الاربعين انتهى
تمامه وقضى مناسك العمر الاجل ولم يبق الا الاخذار الى الوطن ∴ ∴
كمان الفتى يرتقي من العمر معلما ∴ ما كان يجوز الاربعين ويحط ∴
فينبغي له عند تمام الاربعين ان يجعل جل همته التزود للآخرة ويكون كل
تلمحه لما بين يديه ويأخذ في الاستعداد للرحيل وان كان الخطاب لهذا الابن
عشرين الا ان رجاء التدارك في حق الصغير لا في حق الكبير فاذا بلغ الستين
فقد اعذر الله اليه في الاجل وجاز من السن فيقبل بكليته الى الجمع زاده ويهيئ
آلات السفر ويعتقد كل يوم يجيء فيه انه يوم عظيم ما هي في الحساب خصوصا اذا
قوي عليه الضعف وزاده فانه لا يحرك كهو وكلما علت سنه فينبغي ان
يزيد اجتهاده فاذا دخل في عشر الثمانين فليس الا الوداع وما بقي بمكة العمر
تجارة الانفاس اسف على تفريط او تعبد على ضعف نسال الله عز وجل يقظة تامة
تصرف عنا رقاد الغفلات وعملا صالحا نامن معه الندم يوم الانتقال والله
الموفق **فصل** ما ينبغي للسالك ان يخوض في الكلام الا لامر عظيم وهو ان
الانسان يريد ان ينظر ما لا يقوى عليه بصره فربما تحير فخرج الى العجب لانا انا
نظرنا في ذات الخالق سبحانه حار العقل وبهت الحس لانه لا يعرف شيئا الا بدليل
لا يعلم الا الجسم والجوهر والعرض فاثبات ما يخرج عن ذلك لا يفهمه وان
نظرنا الى افعاله في اختراع الاشياء كحكم الباهر ثم ينقض ولا تطلع على تلك الحكمة
فالاولى للعاقل ان يكف كف التطلع الى ما لا يطيق النظر اليه ومتى قام العقل
فنظر في دليل وجود الخالق بمصنوعاته واجاز بعثة نبي واستدل بمعجزاته
كفاه ذلك ان تعرض لما قد اغنى عنه واما قال القرآن كلام الله تعالى بدليل قوله حتى
يسمع كلام الله كفاه واما من تحذلق فقال التلاوة هي المتلو او غير المتلو
والقراءة هي المقروء وغير المقروء فيضيع الزمان في غير تحصيل والمقصود العمل
بما فهم وقد حكي ان ملكا كتب الى عماله في البلدان اني قادم عليكم فاعملوا

كذا وكذا ففعلوا الاول واحدا منهم فاذا قعد يتفكر في الكتاب فيقول اترى كتبه بعد او خير اترى كتبه قائما او قاعدا فمازال يتفكر حتى قدم الملك ولم يعمل مما امره به شيئا فاحسن جوابه الحل وقتل هذا **فصل** لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها واللذة فيها شرف العلم ونزهة الفكر وانفة الحمية وغبطة القناعة وحلاوة الافضال على الخلق فاما الالتذاذ بالمطعم والمنكح فشغل جاهل باللذة لان ذات لا يراد لنفسه بل لاقامة العوض في البدن والولد واي لذة في النكاح وهي قبل المباشرة لا تحصل وفي حال المباشرة قلق لا يثبت عند انقضائها كان لم يكن ثم يثمر الضعف في البدن واي لذة في جمع المال فضلا عن الحاجة فانه مستعبد للخازن بليت حنقا عليه ويدعوه قليله الى كثيره واي لذة في المطعم وعند الجوع يستوي خشنه وحسنه فازداد فان ازداد الاكل خاطر بنفسه قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه بنيت الفتنة على ثلاث النساء وهن فخ ابليس المنصوب والشراب وهو سيفه المرهف والدينار والدرهم وهما سهماه المسمومان فمن مال الى النساء لم يصف له عيش ومن احب الشراب لم يمتع بعقله ومن احب الدينار والدرهم كان عبدا لهما ما عاش **فصل** اصل كل محنة في العقايد قياس امر الخالق على احوال الخلق فان الفلاسفة لما رأوا ايجاد شيء لا من شيء كالمستحيل في العادات قالوا بقدم العالم ولما رأوا تفرق الابدان بالبلا انكروا اعادتها وقالوا الاعادة رجوع الارواح الى معادنها وكل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوق خرج الى الكفر فان المجسمة دخلوا في ذلك لانهم حملوا اوصافه على ما يفعلون وكذلك تدبير عز وجل فان جهله على ما يعقل في العادات رأي ذبح الحيوان لا يستحسن والامراض تستقبح وقسمة الغنى للابلة والفقر للعاقل المجلد امرا نيا في الحكمة وهذا في الاوضاع في الاوضاع بين الخلق فما الخالق سبحانه فان العقل لا ينتهي الى حكمة بل قد ثبت عنده وجوده وملكه وحكمته فتعرضه بالتفاضل على ما جرى به عادات

الخلق جهل الاترى الى اقوال المعترضين وهو ابليس كيف ناظر فقال انا خير منه وقول خليفته وهو ابو العلاء المعري ﴿ لك منك مالا يشتهي فتزندقا ﴾ ونسئل الله عز وجل توفيقا للتسليم وتسليما للحكيم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اترى نقدر على تعليل افعاله فضلا عن مطالعة ذاته وكيف نقيس امره على احوالنا فاذا رأينا نبينا صلى الله عليه وسلم يسأل في امته وعمه فلا يقبل منه ويتقلب جائعا والدنيا ملك سيده ويقتل اصحابه والنصر بيد خالقه اوليس هذا مما يحير فمالنا والاعتراض على ملك قد ثبتت حكمته واستقر ملكه **فصل** تاملت عجبا وهوان كل شيء نفيس خطير بطول طريقه وكثرة التعب في تحصيله فان العلم لما كان اشرف الاشياء لم يحصل الا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة حتى قال بعض الفقهاء بقيت سنين اشتهي الهريسة لا اقدر لان وقت بيعها وقت سماع الدرس ونحو هذا تحصيل المال فانه يحتاج الى المخاطرات والاسفار والتعب الكثير وكذلك نيل الشرف بالكرم والجود فانه يفتقر الى جهاد النفس في بذل المحبوب وربما آل الى الفقر وكذلك الشجاعة فانها لا تحصل الا بالمخاطرة بالنفس لولا المشقة ساد الناس كلهم • الجود يفقر والاقدام قتال • ومن هذا الفن تحصيل الثواب في الآخرة فانه يزيد على قدر قوة الاجتهاد والتعبد او على قدر المبذول من المال في النفس او على قدر الصبر على فقد المحبوب بوضع النفس من الجزع وكذلك الزهد يحتاج الى الصبر عن الهوى والعفاف لا يكون الا بكف كف الشره ولو لا ما عانى يوسف عليه السلام ما قيل له ايها الصديق ولله اقوام ما رضوا من الفضايل الا بتحصيل جميعها فهم يبالغون في كل علم ويجتهدون في كل عمل ويثابرون على كل فضيلة فاذا ضعفت ابدانهم عن بعض تلك قامت النيات نائبة وهم لها سابقون واكمل احوالهم اعراضهم عن اعمالهم فهم يحتقرون نهاية التمام ويعتقدون من التقصير ومنهم من يزيد على هذا فيتشاغل بالشكر على التوفيق

لذلك وهم من لا يرى ما عمل اصلا لا نه يرى نفسه وعمل سيده وبالعكس من المذكور
عن ارباب الاجتهاد حال اهل الكسل والشره والشهوات فليتن التذوا بعاجل
الراحة لقد اوجبت ما يزيد على كل تعب من الاسى والحسرة ومن تالم صبر يوسف
عليه السلام وعجلة ما عزبان له الفرق وفهم الربح من الخسران ولقد تاملت
نيل الترفي الجزاء بعد معاناة الشدايد ومن تفكر فيما ذكرته مثلا بانت
له امثال فالموفق من تالم قصر الموسم المعلوم فيه واستدرك زمان الجزاء الذي
لا آخر له اتعب حتى اللحظة وزاحم كل فضيلة فانها اذا فاتت فلا وجه لك
لاستدراكها اوليس في الحديث يقال لارجل اقرأ وارق فمنزلك عند اخر اية
تقرأها فاعلم ان الفكر عمل في هذا حق العمل حفظ القرآن عاجلا فصل
ليس المؤمن بالذي يؤدي فرايض العبادات صورة ويجتنب المحظورات
فحسب انما المؤمن الكامل الايمان من لا يختلج في قلبه اعتراض ولا يساكن
فيه اجري وسوسة وكلما اشتد البلا عليه زاد ايمانه وقوى تسليمه وقد
يدعوا فلا يرى للاجابة اثرا وسره لا يتغير لا نه يعلم انه مملوك ولي مالك
يتصرف بمقتضى ارادته فان اختلج في قلبه اعتراض خرج من مقام العبودية
الى مقام المناظرة كما جرى لابليس والايمان القوي يبين اثره عند قوة
البلا فاما اذا رايتا مثل يحيى ابن زكريا تسلط عليه فاجر فيامر بذبحه فيذبح
وربما اختلج في الطبع ان يقول فهلا رد عنه من جعله نبيا وكذلك كل
تسلط من الكفار على الانبياء والمؤمنين وما وقع ورد عنهم فان تجسس
بالفكر ان القدرة تعجز عن الرد عنهم كان كفرا وان علم ان القدرة متمكنة من
الرد ومارادت ويجوع المؤمنون ويشبع الكفار ويعافى العصاة ويمرض
المتقون لم يبق الا التسليم للمالك وان امض وارضى وقد ذهب يوسف
من يعقوب عليهما السلام فبكى ثمانين سنة ثم لم ييأس فقال عسى
الله ان ياتيني بهم جميعا وقد دعى موسى عليه السلام على فرعون فاجيب

بعد

بعد اربعين سنة وكان يذبح الابناء ولا تزده القدرة القديمة العظيمة
وصلب السحرة وقطع ايديهم وكم من بلية نزلت بمعظم القدر فما زاده ذلك
الا تسليما رضى فهناك يبين معنى قوله ورضوا عنه وهاهنا يظهر قدر
قوة الايمان في ركعات قال الحسن البصري استوى الناس في العافية فاذا نزل
البلا تباينوا فصل اصر ما على العوام المتكلمون فانهم يخبطون
عقايدهم بما يسمعونه منهم ومن اقبح الاشياء ان يحضر العامي الذي
لا يعرف اركان الصلوة ولا الربا في البيع مجلس الوعظ فلا ينهاه عن التواني
في الصلوة ولا يعلمه الخلاص من الربا بل يقول له القرآن قائم بالذات والذي
عندنا مخلوق فيهون القرآن عند ذلك العامي فيجازف على الكذب ويح المتكلم
لو كان له فهم لعلم ان الله سبحانه وتعالى نصب اعلاما تانس بها النفوس
وتطمئن اليها كالكعبة وسماها بيته والعرش وذكر استوائه عليه وذكر من
صفاته اليد والسمع والبصر والعين وينزل الى السماء الدنيا ويضحك وكل هذا
لتانس النفوس بالعادات وقد جل عما تضمنه هذه الصفات من الجوارح
وكذلك عظم امر القرآن ونهى الحدث الذي مس المصحف قال الامر يقوم
من المتكلمين لما ان جازوا الاستجابة فهو لاء على معاند الشريعة لانهم
يهينون ما عظم الشرع وهل الايغال في الكلام مما يقرب الى معرفة الحقايق
التي لا يمكن خلافها ميهات لو كان كذلك ما وقع بين المتكلمين خلاف
اوليس الشرب الاول ما تكلموا في شيء من هذا وان كانوا تعرضوا ببعض
الاصول ثم جاء فقهاء الامصار فنهوا عن الخوض في الكلام لعلمهم ما
يجلب ومن لم يقنع بعقيدة مثل عقيدة الصحابة ولا بطريق مثل
طريق احمد والشافعي في ترك الخوض فلا كان من كان ثم بالله تاملوا ليس
قد وجب علينا هجر الربا بقوله تعالى ولا تاكلوا الربوا وهجر الزنا بقوله تعالى
ولا تقربوا الزنا فاي فايدة لنا في ذكر قراءة ومقرئ وتلاوة ومتلو وقيم

ومحدث فان قيل فلا بد من اعتقاد قلنا طريق النقل اوضح محجة لانا
نقول التقليد بل بالدليل ولكنا لم نستفد، عما جوهو وعرض وجزء لا يتجزى
بل بادلة النقل مع مساعدة العقل من غير بحث عما لا احتاج اليه وليس هنا
مكان الشرح فصل مازلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت من
الاولاد والاهل والاخايل الا بكاء الابدان في القبور فاحزن لذلك ضربت بي
احاديث قد كانت تمر بي ولا افكر فيها منها قول النبي صلى الله عليه وسلم انما
نفس المؤمن طاير تعلق في شجر الجنة حتى يرده الله عز وجل الى جسده يوم
يبعثه فرايت ان الرجل الى الراحة وان هذا البدن ليس بشيء لانه مركب
تفكك وفسد وسيبنى جديدا يوم البعث فلا ينبغي ان يتفكر في بلاء
ولتسكن النفس الى ان الارواح انتقلت الى راحة فلا يبقى كبير حزن وان اللقاء
للاحباب عن قريب وانما يبقى الاسف لتعلق الخلق بالصور فلا يرى الانسان
الا جسدا مستحسنا قد تقض فيحزن للتقضه والجسد ليس هو الادمي انما هو
مركبه فالارواح لاينالها البلاء والابدان ليست بشيء واعتبر هذا بما اذا
قلعت ضرسك فرميته في حفرة فهل عندك خبر ما يلقى في مدة حتى يتك فحكم
البدن حكم ذلك الضرس لا تدري النفس ما يلقى ولا ينبغي ان يغتم بتمزيق
جسد المحبوب وبلاه واذكر تنعم الارواح وقرب التجديد وتعجل اللقاء فالفكر
في تحقيق هذا يهون الحزن ويسهل الامر فصل ينبغي للعاقل ان
لا يتكلم في الخلوة عن احد بشيء حتى يمثل ذلك الشيء ظاهرا معلنا به ثم
ينظر فيما يجيء فرب رجل وثق بصديق فتكلم عن سلطان بامر قبلغه
فاهلكه او عن صديق فبلغه فوقعت الواقعة وكذلك ينبغي كتم المذاهب
فانه ما يرفع مظهرها الا بالمعادات ولما صرح الشريف ابو جعفر في زمان
المقتدر بمخالفة الاشاعرة اخذ وحبس حتى مات وكان المقصود قطع الفتن
واصلاح الرعية فانه اهم الى السلطان من التعصب بمذهب فصل رايت

كثيرا

كثيرا من المتغفلين يظهر عليهم السخط بالاقدار وفيهم من قل ايمانه فاخذ
يعترض وفيهم من خرج الى الكفر حتى ان ملحدا كان يعبث وقال ما فايدة
الاعدام بعد الايجاد والابتلاء من هو غني عن اذانا فقلت لبعض من كان
يرمز الي هذا ان حضر عقلك وقلبك حدثتك وان كنت تتكلم بمجرد ما وقفت
من غير نظر وانصاف في الحديث معك ضايع ويحك احضر عقلك واسمع
ما اقول ليس قد ثبت ان الحق سبحانه وتعالى مالك والملك ان يتصرف
كيف شاء ليس قد ثبت انه حكيم والحكيم لا يعبث وانا اعلم ان في نفسك من
هذه الكلمة شيئا فانه قد سمعنا عن جالينوس انه قال ما ادري احكيم هو
ام لا والسبب في قوله هذا انه راى نقضا بعد احكام فقاس الحال على احوال
الخلق وهو ان من بنى ثم نقض لا لمعنى فليس بحكيم وجوابه لو كان حاضرا
ان يقال بماذا بان لك ان النقض ليس بحكمة اليس بعقلك الذي وهبه
الصانع لك وكيف يهب لك النقص الكامل ويفوته هو الكمال وهذه المحنة
التي جرت لابليس فانه اخذ يعجب بعقله الحكمة فلو تفكر علم ان واهب
العقل اعلا من العقل وان حكمة اولى من كل حكيم لان الحكمة التامة انما
العقول فهذا اذا تامله المنصف ازاح عنه الشك وقد اشار سبحانه الى هذا في
قوله تعالى الم البنات ولكم البنون اي جعل لنفسه ما فيه نقصات واعطاكم الكاملين
فلم يبق الا ان تضيق العجز عن فهم ما يجري الى النفس ويقول هذا فعل عالم
حكيم ولكن ما يبين لنا معناه وليس هذا بعجب فان موسى عليه السلام خفي عليه
وجه الحكمة في نقض السفينة الصحيحة وقتل الغلام الجميل فلما بين له الخضر
الخضر وجه الحكمة اذعن فليكن مع الخالق كموسى مع الخضر او لسان ذي المايدة
المستحسنة بما عليها من فنون الطعام التضييق الطريق بقطع وبمضغ وليشتان
بتلك الافعال ولا ينكر الا فساد لم يعلم انها المصلحة الباطنة فيه فما المانع ان يكون
فعل الحق سبحانه لم باطن لا نعلمه ومن اجهل الجهال العبد المملوك اذا طلب

ان يطلع على سرّ مولاه فان فرضنا التسليم لا الاعتراض ولو لم يكن في الابتلاء
بما ينكره الطباع الا ان يقصد اعدام العقل وتسليمه لكني ولقد تأملت حالة
عجيبة يجوز ان يكون المقصود بالموت هي وذلك ان الخالق سبحانه يغيب
في غيب لا يدركه الاحساس فلو ان لم ينقض هذه البنية التخايل للانسان
انه صنع لا يصانع فاذا وقع الموت عرفت النفس نفسها التي كانت لا تعرفها
لكونها في الجسد وتدرك عجايب الامور بعد رحيلها فاذا رجعت الى البدن
عرفت ضرورة انها لخالقة لمن اعادها وتذكرت حالها في الدنيا فان
الاذكار تعاد كما تعاد الابدان فيقول قايلهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وبنى
رأيت ما قد وعدت به من امور الآخرة ايقنت يقينا لا شك معه ولا يحصل
هذا بالعادة ميت سواها وانما يحصل برؤية هذا الامر فيها فيبنى بنية
تقبل البقاء وتسكن جنة لا ينقضي دوامها فيصلح بذلك اليقين ان تجاوز الحق
لانها آمنت بما وعد وصبرت بما ابتلى وسلمت لاقداره فلم تعترض ورات
في غيرها العبر ثم في نفسها فهذه هي التي يقال لها ارجعي الى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي ولا خلي جنتي فاما الشاك والكافر فيحق لهما
الدخول الى النار والبحث فيها لانهما رأيا الادلة ولم يستفيدا وانما الحكيم
واعترضا عليه فعاد شوم كفرهما بظلمس قلوبها فبقيت على ما كانت عليه فلما
لم تنتفع بالدليل في الدنيا لم تنتفع بالموت والاعادة ودليل بقاء الخبث في القلوب
قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فنسأل الله عز وجل عقلا مسلما نفوض على
حده ولا نعترض على خالقه ثم الويل للمعترض ايرد اعتراضه الاقدار فلم يستفيد
الا الحزن نعوذ بالله ممن حذل **فصل** ينبغي للمؤمن ان ينزع من مرض او
نزول موت وان كان الطبيب لا يملك الا انه ينبغي له التصبر بهما امكن اما الطب
الاجر بما يعاني او ليبان اثر الرضى بالقضاء وما هي الا لحظات ثم تنقضي وليتفكر
المعافا من المرض في لمعات التي كان يقلق فيها اين هي في زمان العافية ذهب

البلاء وحصل الثواب كما يذهب حلاوة اللذات المحرمة ويبقى الوزر ويمضي
زمان التسخط بالاقدار ويبقى العتاب وهل الموت الا ان تزيد فتعجز النفس
عن حملها فتذهب فليتصور المريض وجود الراحة بعد رحيل النفس
وقد هان ما يلقى كما يتصور العافية بعد شرب الشربة المرة ولا ينبغي ان
يقع الاهتمام الكلي بما يزيد جزع بذكر البلاء فان ذلك شان المركب انما الراكب
في الجنة او في النار وانما ينبغي ان يقع الاهتمام الكلي بما يزيد في درجات
الفضايل قبل نزول المعوق عنها فالسعيد من وفق لاغتنام العافية ثم يختار
تحصيل الافضل فالافضل في زمن الاغتنام وليعلم ان زيادة المنازل في الجنة
على قدر التزيد من الفضايل ها هنا والعمر قصير والفضايل كثيرة فليسابق
في البدار فيا طول راحة التعب ويا فرحة المغموم ويا سرور المحزون ومتى
تخايل دوام اللذة في الجنة من غير منغص ولا قاطع ها ان عليه كل بلاء وشدة
فصل حضرنا يوما جنازة شاب مات احسن مكانت الدنيا له فرايت
من ذم الناس للدنيا وعيب من يسكن اليها والتنبيه للغافلين عن الاستعداد
لهذا المصرع امرا كبيرا من الحاضرين فقلت نعم ما قلتم ولكن اسمعوا مني ما لم
تسمعوه اعجب الاشياء ان العاقل اذا علم قرب هذا المصرع منه اوجب عليه عقله
البدار بالعمل والقلق من الخوف وقد اشتد ذلك بأقوام فهاموا في البراري
وطووا الايام بالجمعة وداموا على سهر الليل ولازموا المقابر فهلكوا سريعا
ولعمري ان ما خافوه يستحق اكثر من هذا الفعل ولكن ترك العقل الذي اوجب
هذا القلق امرا بما يوجب السكون فقال انما خلق هذا البدن ليحمل النفس كما
تحمل الناقة الراكب ولا بد من التطوف بالناقة ليحصل المقصود من السير
ولا يحسن في العقل دوام السهر وطول القلق لانه يوثر في البدن فيفوت
اكثر المقصود كيف وقد خلق بدن الآدمي خلقا لطيفا فاذا هجم الدسم تشف
الدماغ فاذا دام على السهر قوي اليبس فاذا لازم الحزن مرض القلب فلا بد من

النطق بالبدن بتناول ما يصلحه وبالقلب بدفع الحزن المؤذي له والاشتغال
دام المؤذي عجل التلف ثم بأي الشرع بماذا قاله العقل فيقول ان لنفسك عليك
حقا وان لزوجك عليك حقا فصم وافطر وقم ونم ويقول كفى بالمرء اثما ان
يضيع ما يقوت ويحث على النكاح ودوام الغلق واليبس بترك الزوجة
كالارملة والولد كاليتيم ولا وجه للتشاغل بالعلم مع هذا القلق ومن اراد
مصداق ما قلته فليتامل حالة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان يعدل ما عنده
من الخوف فيمازح ويسابق عائشة ويكثر من التزيج وكان يلطف ببدنه بحسن
الماء البارد ويحب الحلوى واللحم ولا مساكنة بدع غفلة لما صنف العلماء ولا
حفظ العلم ولا كتب الحديث لانه من يقول ربما مت اليوم كيف يكتب وكيف يسمع
ويصنف فلا يهولنكم ما ترون من غفلة الناس عن ذكر الموت حق ذكره فانها نعمة
من الله سبحانه بها تقوم الدنيا ويصلح الدين وانما تذم قوة الغفلة الموجبة
للتفريط والاهوال للمحاسبة للنفس وتضييع الزمان في غير التزود ومرعاة
قويت فحملت على المعاصي فاما اذا كانت بقدر كانت كالملح في الطعام لا بد منه
فان كثر صار الطعام رعاقا فالغفلة تمدح اذا كانت بقدر كما ينا ومتى
زادت وقع الذم فافهم ما قلته ولا تقل فلان شديد اليقظة ما ينام الليل
وفلان غافل ينام اكثر الليل فان غفلة توجب مصلحة البدن والقلب لا تذم
والسلام **فصل** ما يكاد يجب الاجتماع بالناس الا فارغ لان المشغول القلب
بالحق يفر من الخلق ومتى تمكن فراغ القلب من معرفة الحق ابتلا بالخلق
فصار يعمل لهم ومن اجلهم ويهلك بالرياء ولا يعلم اني لا تامل على بعض
من يتزيا بالفقر والتصوف وهو يلبس ثيابا لا تساوي دينارا وعنده المال
الكثير وقد امرح نفسي في المطاعم الشهية وهو عامل بمقتضى الكبر و
التصدر فيتقرب الى ارباب الدنيا ويستزري اصحاب العلم ويزدري الله
دونهم وانما يزدري ما يعطى ليشيع له اسم زاهد فتراه يرمي الناموس فهو في احتياله

كتعلب وهو في نهوضه على اغراضه في الباطن كلب شرس فاقول سبحان الله
ما يزهد الا الشباب اترى ما سمع هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان
يرى اثر نعمته على عبده ويعوذ بالله من سوء النفس وسرية الخلق فان من
راى نفسه تكبر والمتكبر احمق لانه ما من شيء يتكبر به الا ولغيره اكثر منه
ومن راى الخلق عبدهم ولا يعلم فاما المعامل لله سبحانه فهو بعيد من
الخلق فان يقربوا اليه ستر حاله بما يوجب بعدهم عنه وقد رايتنا من يراني
ولا يدري فيمتنع من الشيء في السوق ومن زيارة الاخوان ومن ان يشتري
شيئا بنفسه وتوهمه نفسه اني اكره مخالطة السوقة وانما هذا مرياجا
بين العلماء اذ لو خالطهم لامتحى جاهه وبطل تقبيل يده وقد كان بشر الحافي
يجلس عند عطار وابلغ من هذا كله ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يشتري
ويحمله وخرج علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو امير المؤمنين الى السوق فا
شترى ثوبا وقد كان طلحة ابن مصرف قاري اهل الكوفة فلما كثر الناس عليه
مشى الى الاعمش فقرا عليه فمال الناس الى الاعمش وتركوا طلحة هذا مع الله الكبريت
الاحمر والاكسير لا ما يظن اكسير في الكيمياء والعاملة مع الله تعالى هكذا تكون فاما
من هذه الحال فحالة عابد للخلق منمس وقد عم هذا الجهل الخلق حاشا السلف
افدى ظباء فلاة ما عرفن بها ∴ مضغ الكلام ولا صبح الحواجيب ∴

فصل كل المعاصي قبيحة وبعضها اقبح من بعض فان الزنا من اقبح
الذنوب فانه يفسد الفرش ويغير الانساب وهو بالجارة اقبح فقد روي
في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم
قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك من اجل ان
يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك وقد روى البخاري
في تاريخه من حديث المقداد ابن الاسود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لان يزني الرجل بعشر نسوة ايسر من ان يزني بامرأة جاره ولان يسرق من

نعد
يزدري

عشرة ابيات ايسر عليه من ان يسرق من بيت جاره وانما كان هذا لانه يضم
الى معصية الله عز وجل وانتهاك حق الجار ومن اقبح الذنوب ان يزني الشيخ
ففي الحديث ان الله يبغض الشيخ الزاني لان شهوة الطبع قد ماتت وليس
فيها قوة تغلب فهو يحركها ويبالغ فكان معصيته عناد ومن المعاصي التي
تشبه المعاندة لبس الرجل الحرير والذهب خصوصا خاتم الذهب الذي
يتحلى به الشيخ وانه من ابرد الافعال واقبح الخطايا ومن هذا الفن الرياء والتخشع
واظهار التزهد للخلق فانه كالعبادة لهم مع الاهمال جانب الحق عز وجل وكذلك
المعاملة بالربا الصريح خصوصا من الغني الكثير المال ومن اقبح الاشياء
ان يطول المرض بالشيخ الكبير ولا يطيق يتوب من ذنب ولا يعتذر من زلة ولا
يقضي دينا ولا يوصي باخراج حق عليه ومن قبائح الذنوب ان يتوب
السارق والظالم ولا يرد المظالم والفرط في الزكوة او في الصلوة ولم يقضي ومن
اقبحها ان يحنث في يمين طلاقه ثم يقيم مع المرأة وقس على ما ذكرته فالمعاصي
كثيرة واقبحها لا يخفى وهذه المستقبحات فصلا من القبائح تشبه العناد للامر
فيستحق صاحبها اللعن ودوام العقوبة واني لاري شرب الخمر من ذلك
الجنس ليست شهوة لذاتها ولا لريحها ولا لطعمها فيما يذكر انما لذتها فيما
يقال بعد جرع مرارتها فالاقدام على ما لا يدعو اليه الطبع معاندة الى ان يصل
التناول الى اللذة نسال الله عز وجل ايمانا يحجز بيننا وبين مخالفته وتوفيقا
لما يرضيه فاما نحن به وله **فصل** اعتبرت على اكثر العلماء والزهاد
انهم يطلعون الكبر فهذا ينظر في موضعه وارتفاع غيره عليه وهذا لا يعود
مريضا فتبين لي نفسه خيرا منه حتى اني رايت جماعة يوما اليهم منهم
من يقول لا ادفن الا في ذكة احمد ابن حنبل ويعلم ان في ذلك كسر عظام الموتى
ثم يرى نفسه اهلا لذلك التصدر ومنهم من يقول ادفن الى جانب
مسجدي ظنا منه انه يصير بعد موته من مزور المعروف وهذه خلة مهلكة ولا

يعلمون

يعلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم من ظن انه خير من غيره فقد تكبر وقال من
رايت الا وهو يرى نفسه والعجب كل العجب ممن يرى نفسه اتراه بما فاز بها
ان كان بالعلم فقد سبقه العلماء او بالتعبد فقد سبقه العباد او بالمال
فان المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينية فان قال قد عرفت ما لم يعرف
غيري من العلم في ديني فما على من تقدم قيل له ما نامرك يا حافظ القران
ان ترى نفسك في الحفظ كمن حفظ النصف ولا يا فقيه ان ترى نفسك في
العلم كالعامي انما نحذرك ان ترى نفسك خيرا من ذلك الشخص المؤمن
المؤمن وان قل عمله علمه فان الخيرية بالمعاني لا بصور العلم والعبادة
ومن تلح خصال نفسه وذنوبه يعلم انه على يقين من الذنوب والتقصير و
هو من حال غيره على شك فالذي يحذر منه الاعجاب بالنفس ورؤية
التقدم في حمل الآخرة والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه وقد قيل لعمر ابن عبد العزيز
رضي الله عنه ان مت ندفنك في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لان
القى الله بكل ذنب غير الشرك احب الي من ان ارى نفسي اهلا لذلك وقد
روينا ان رجلا من الرهبان راى في المنام قائلا يقول له فلان الاسكاف
خير منك فنزل من صومعته فجاء اليه فساله عن عمله فلم يذكر له كبير عمل فقيل
له في المنام عد اليه وقل له يا صفرة وجهك فعاد فساله فقال ما رايت مسلما
الا وظننته خيرا مني فقيل له فبذلك ارتفع **فصل** متى رايت صاحبك
قد غضب واخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغي ان تعقد على ما يقوله
خنصرا ولا ان تواخذه به فان حاله حال السكران لا يدري ما يجري بل اصبر
لغدره ولا تعول عليها فان الشيطان قد غلبه والطبع قد هاج والعقل
قد استتر ومتى اخذت في نفسك عليه واجبته بمقتضى فعله كما قال
واجه محبوبا او كصديق عاتب متغير عليه فالذنب لك بل انظر اليه بعين الرحمة
وتلهم تصريف القدر له وتفرج في لعب الطبع به واعلم انه اذا تبين ندم على

ما جرى عرف لك فضل الصبر واقل الاقسام ان تسلم فيما يفعل في غضبه
الى ما يستريح به وهذه الحالة ينبغي ان يتعلمها الولد عند غضب الوالد
والزوجة عند غضب الزوج فتتركه يستفي بما يقول ولا يعول على ذلك
فيعود ذلك فيعود نادما معتذرا ومتى قوبل على حالته وبمقالته صارت
العداوة متمكنة وجانب في الافاقة على ما فعل في حقه وقت السكر واكثر
الناس على غير هذه الطريق متى راوا غضبان قابلوه بما يقوله ويعمل على
مقتضى الحكمة هذا بل الحكمة ما ذكرته وما يعقلها الا العالمون **فصل** ليس
في الدنيا بله ممن يسيئ الى شخص ويعلم انه قد بلغ الى قلبه بالاذى ثم
يصطلحان في الظاهر فيعلم ان ذلك الاثر محى بالصلح وخصوصا الملوك
فان لذتهم الكبرى ان لا يقع عليهم احد ولا ينكسر لهم غرض فاذا جرى
شيئ من ذلك لم يخبر واعتبر هذا بابي مسلم الخراساني فانه غض من قدر
المنصور قبل ولايته فحصل ذلك في نفسه فقتله ومن نظر في التواريخ راى
جماعة قد جرى لهم مثل هذا ولا ينبغي لمن اساء الى سلطان ان يقع في يده
فانه اذا راى التخلص لم يقدر فيبقى نقمه على تركك احترازه وحسرته على
مساكنة الضمان للسلامة اشد عليه من كل ما يلقى به من الهوان والاذى
ومن هذا الجنس الاصدقاء المتمالئون فانك متى اذيت شخصا وبلغ الى قلبه
اذاك فلا تثق بمودته فان اذاك نصب عينه فان لم تجتل عليك لم يصف
لك ولا تخالط الا من انعمت عليه بحسب فهو لم يرض منك شيئا فيكون
في نفسه وكذلك الولد والزوجة والمعاملون ويلحق بهذا ان اقول لا ينبغي
ان تعادي احدا ولا تتكلم في حقه فربما صارت له دولة فاشتفى وربما
احتيج اليه فلم يقدر عليه فالعاقل يصور في نفسه كل ممكن ويستر ما في قلبه من
البغض طول ويداري بمع الغيظ والحقد هذه مشاورة العقل ان قبلت

فصل كل من لا يتلمح العواقب ويستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل

العقل

العقل واعتبر هذا في جميع الاحوال مثل ان يغتر بشبابه ويقدم على المعاصي
ويسوف بالتوبة فربما اخذ بغتة ولم يبلغ بعض ما امل وكذلك اذا سوف
بالعمل وبحفظ العلم فان الزمان يقتضي بالتسويف ويفوت المقصود
وربما عزم على فعل خير او وقف شيئ من ماله فسوف فبغت فالعاقل من
اخذ بالحزم في تصوير ما يجوز وقوعه وعمل بمقتضى ذلك فان امتد الاجل
لم يضره وان وقع المخوف كان محترزا وما يتعلق بالدنيا ان يميل مع
السلطان ويسيئ الى بعض حواشيه ثقة بقربه منه فربما تغير ذلك السلطان
فارتفع عدوه فانتقم منه وقد يعادي بعض الاصدقاء ولا يبالي به لانه
دونه في الحال الحاضرة فربما صعدت مرتبة ذلك فاستوفى ما اسلفه
اليه من القبيح وزاد فالعاقل من نظر فيما يجوز وقوعه ولم يعاد احدا فان
كان بينهما ما يوجب العداوة كتم ذلك فان صح له ان يثب على عدوه فيتقدم
منه انتقاما بما يبيحه الشرع جاز على ان العفو اصلح في باب العيش ولهذا
ينبغي ان يخدم البطال فربما عمل فعرف ذلك لمن خدم وقس على انموذج
ما ذكرته من جميع الاحوال **فصل** بقدر صعود الانسان في الدنيا
تنزل مرتبته في الاخرة وقد صرح بهذا ابن عمر رضي الله عنه فقال والله لا ينال
احد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند الله وان كان عنده كريما
فالسعيد من اقتنع بالبلغة فان الزمان اشرف من ان يضيع في طلب
الدنيا اللهم الا ان يكون متورعا في كسبه معينا لنفسه عن الطمع قاصدا
لاعانة اهل الخير والصدقة على المحتاجين فكسب هذا اصلح من بطالته
فاما الصعود الذي سببه مخالطة السلاطين فبعيد ان يسلم معه
الدين فان وقع سلامته ظاهرا فالعاقبة خطرة في الدنيا والاخرة قال
ابو محمد التميمي ما غبطت احدا الا الشريف ابا جعفر يوم مات القائم بامر
الله فانه غسله وخرج ينفض اكمامه فقعد في مسجده لا يبالي باحد

وحن من عجون الاندري ما يجري علينا وذلك ان التيمي كان متعلقا على
السلطان يمضي له في رسايل تخاف بغبة القرب وقد رايتا جماعة من العلماء
خالطوا السلطان فكانت مخبتهم سيئة ولعمري انهم طلبوا الراحة
فاخطاوا طريقها لان مموم القلب لا يواريها لذة مال ولا لذة مطعم هذا
في الدنيا قبل الاخرة ومن اشرف واطيب عيشا من ينفرد في زاوية لا يخالط
السلاطين ولا يبالي اطالب مطعما ام لم يطلب فانه لا يخلو من كسرة وقعب
ماء وهو سليم من ان يقال له كلمة تؤذيه او يعيبه الشرع حين دخوله عليهم
او الخلق ومن تامل حال احمد في انقطاعه وحال ابن ابي داود ويحيى ابن اكثم
عرف الفرق في طيب العيش في الدنيا والسلامة في الاخرة وما احسن ما قال
ابن ادهم لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من لذيذ العيش لجالدونا
عليه بالسيوف ولقد صدق ابن ادهم فان السلطان ان اكل شيئا خاف ان
يكون قد طرح له فيه سم وان نام خاف ان يغتال وهو وراء المغاليق لا يمكنه
ان يخرج لفرجة فان خرج كان من اعجا من اقرب الخلق اليه واللذات التي
ينالها تنزر عنده ولا يبقى له لذة مطعم ولا مشرب وكلما استطرف المطعم اكثر
منها ففسدت معدته وكلما استجد الجواري اكثر منهن فذهبت قوته ولا
يكاد يبعد ما بين الوطي ولا يجد في الوطي يسير لذة لان لذة الوطي بقدر
بعد ما بين الزمانين وكذلك لذة الاكل فان من اكل على شبع ووطي من غير
صدق شهوة وقلق لم يجد اللذة التامة التي يجدها الفقير اذا جاع والغريب
اذا وجد امرأة ثمان الفقير يرمي نفسه على الطريق في الليل فينام ولذة الامن
قد حرمها الامراء فلذتهم ناقصة وحسابهم زايد والله ما عرف من عاش
رفيع القدر بالغا من اللذات ما لم يبلغ غيره الا العلماء المخلصون كالحسن
وسفيان واحمد والعباد المحققون بمعروف كمعروف فان لذة العلم تزيد
على كل لذة وما ضرهم اذا جاعوا او ابتلوا باذى فان ذلك زاد في رفعتهم وكذلك

لذة

لذة الخلوة والتعبد فهذا معروف كان متفردا بربه طيب العيش معه لذيذ
الخلوة بحج به ثم قدمات منذ نحو اربعمائة سنة فما خلوا ان يهدى اليه
كل يوم تقدير مجموعة اجزاء من القرآن فاقل من يقف على قبره فيقرا قل هو
الله احد فيهديها له والسلاطين تقف بين يدي قبره ذليلة هذا بعد
الموت ويوم الحشر ينشر الكرامات التي لا توصف وكذلك قبور العلماء
المحققين ولما بليت اقوام بمخالطة الامراء اثر ذلك التكدير في احوالهم كلها
فقال سفيان ابن ابن عيينة منذ احدث من مال فلان الامير منعت
ما كان وهب ليوسف فهم القرآن وهذا ابو يوسف القاضي لا يزور قبره اثنان
فالصبر عن مخالطة الامراء وان اوجب ضيق العيش من وجه حصل
طيب العيش جهات ومع التخليط لا يحصل مقصود فمن عزم جزم كان ابو
الحسن القزويني لا يخرج من بيته الا وقت الصلوة فربما جاء السلطان
فيقعد لا ينتظاره ليسلم عليه وقد نفس في هذا مما اضجر السامع ومن
ذاق عرف فصل من عرف الشرع كما ينبغي وعلم حالة الرسول صلى
الله عليه وسلم واحوال الصحابة واكابر العلماء على ان اكثر الناس على غير الجاده
وانما يمشون مع العادة يترادون فيغتاب بعضهم بعضا ويطلب كل
واحد منهم عورة اخيه ويحسده ان كانت نعمة ويشمت به ان كانت مصيبة
ويتكبر عليه ان صح له ويخادعه لتحصيل شيء من الدنيا ويا خذ عليه
العثرات ان امكن هذا كله يجري بين المنتمين الى العلم والزهد لا الرعاع
فالاولى بمن عرف الله سبحانه وعرف الشرع وسير السلف الصالحين
الانقطاع عن الكل فان اضطر الى لقاء منتسب الى العلم والخير تلقاه وقد لبس
درع الحذر ولم يطل معه الكلام ثم عجل الهرب منه ومخالطة الكتب التي تخرج
عن النطاق اكثر فصل الكمال عزيز والكامل قليل الوجود فاول اسباب
الكمال تناسب اعضاء البدن وحسن صورة الباطن فصورة البدن

تسمى خلقا وصورة الباطن تسمى خلقا ودليل صو كمال صورة البدن حسن
التمت واستعمال الادب ودليل كمال صورة الباطن حسن الطبايع والاخلاق
فالطبايع العفة والمنزاهة والانفة من الجهل ومباعدة الشره والاخلاق الكرم
والايثار وستر العيوب وابتداء المعروف والحلم عن الجاهل فمن يرزق هذه
الاشياء رقية الى الكمال وظهر عنه اشرف الخلال وان نقصت خلة او جمت
النقص **فصل** ليس في الدنيا بلية من يريد معاملة الحق سبحانه على بلوغ
الاغراض فاين يكون البلوى اذن لا والله بل لابد من انعكاس المرادات
ومن توقف اجوبة السؤالات ومن تشفي الاعداء في اوقات فاما من يريد
ان تدوم له السلامة والنصر على من يعاديه والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف
التكليف ولا فهم التسليم اليس الرسول صلى الله عليه وسلم ينصر يوم بدر ثم يجري عليه
ما جرى يوم احد اليس يصد عن البيت ثم قهر بعد ذلك فلابد من جيد
وردي العبد يوجب الشكر والردي يحرك السؤال والدعاء فان امتنع الجواب
اريد نفوذ البلاء والتسليم للقضاء وههنا يبين الايمان ويظهر في التسليم
جواهر الرجال فان تحقق التسليم باطنا وظاهرا فذلك شان الكامل وان
وجد في الباطن انعصار من القضاء لا من المقضي فان الطبع لابد ان ينفر
من المؤذي دل على ضعف المعرفة فان خرج الامر الى اعتراض باللسان فتلك
حال الجهال نعوذ بالله منها **فصل** من الابتلاء العظيم اقامة الرجل في
غير مقامه مثل ان يحوج الرجل الصالح الى مدارات الظالم والتردد اليه والى
مخالطة من لا يصلح والى اعمال لا تليق به او الى امور تقطع عليه مراده الذي
يؤثره مثل ان يقال للعالم تردد الى الامير والا خفنا عليك سطوته فيتردد
فيرى من لا يصلح ولا يمكنه ان ينكر او يحتاج الى شيء من الدنيا وقد منع
حقه فيحتاج ان يتعرض او يصرح لينال بعض حقه ويحتاج الى مداراة
من يصعب مداراته بل تشتت همه لتلك الضرورات وكذلك يفتقر الى

يعرض

الدخول

الدخول في امور لا يليق به مثل ان يحتاج الى الكسب فيتردد الى السوق او
يخدم من يعطيه اجرته وهذا لا يحتمله قلب المراقبة لله سبحانه لاجل ما
يخالطه من الاكدار ويكون له عيالة وهو فقير فيفتكر في غناهم فيدخل
في مداخل كلها عنده عظيم وقد يبتلى بفقد محبوب او ببلاء في بدنه
او بعكس اغراضه وتسلط معاديه عليه فيرى الفاسق يقهره والظالم
يذله وكل هذه الاشياء تكدر عليه العيش ويكاد يزل القلب وليس في
الابتلاء بقوة الاشياء الا التسليم والالجاء الى المقدر في الفرج فيرى الرجل
المؤمن الحازم ثبت لهذه العظايم ولا يتغير قلبه ولا ينطق بالشكوى لسانه
او ليس الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج ان يقول من يؤويني من ينصرني ويفتقر
ويفتقر الى ان يدخل مكة في جوار كافر ويشق التلاع على ظهره ويقتل
اصحابه ويداري المؤلفة ويشتد جوعه وهو ساكن لا يتغير وما ذاك
الا انه علم ان الدنيا دار ابتلاء لينظر كيف يعملون ومما يهون هذه الاشياء
علم العبد بالاجر وان ذلك مراد الحق • ثم الجرح اذا رضاكم الم **فصل**
لا ينكر ان الطبع تحب المال لانه سبب بقاء الابدان لكنه يزيد حبه في بعض
القلوب حتى يصير محبوبا لذاته لا للتوصل به الى المقاصد فترى البخيل
يحمل على نفسه العجايب ويمنعها اللذات وتصير لذاته في جمع المال وهذه
جملة في خلق كثير وليس العجب ان يكون في الجهال وينبغي ان يوثر فيها عند
العلماء المجاهدة الطبع ومخالفته خصوصا في الافعال الدنية في المال فاما ان
يكون العالم جامعا للمال من وجوه قبيحة من شبهات قوية وحرص شديد
وبذل في الطلب ثم ياخذ من الزكوات ولا يحل لربح الغناء ثم يدخره ولا
ينتفع به فهذه بهيمة خرج عن صفات الادمية بل البهيمة اعذر لانها
بالرياضة يتغير طبعها وهؤلاء ما غيرتهم رياضة ولا افادهم العلم وقد
ابو الحسن البسطامي مقيما في رباط البسطامي الذي على نهر عيسى وكان

لايلبس الا الصوف شتاء وصيفا وكان يحترم ويقصد وخلف مالا يزيد
على اربعة الاف دينار ودينا بعض اشياخنا وقد بلغ الثمانين وليس له اهل
ولا ولد وقد مرض فالقى نفسه عند بعض اصدقائه فتكلف له ذلك الرجل مما
يشتهيه فمات فخلف اموالا عظيمة ودينا صدقة ابن الحسين الناسخ وكان
على الدوام يذم الزمان واهله ويبالغ في الطلب من الناس ويتخفف وهو
في المسجد وحده وليس لمن يقوم بامره تمات فخلف فيما قيل ثلاث مائة
دينار وكان يحكي لنا ابو طالب ابن المؤيد الصوفي وكان يجمع المال فرق منه
نحو مائة دينار فتهلف عليها وكان ذلك سبب هلاكه ومن العجب احوال الناس
انك ترى اقواما جلوسا على صفة القوم يطلبون الفتوح فيما يتهم منها الكثير
الذي يصيرون به من الاغنياء وهم لا يمتنعون من اخذ زكاة ولا من طلب
وكذلك القصاص يخرجون الى البلاد ويطلبون فيحصل لهم المال الكثير ولا
يتركون الطلب عادة فيا سبحان الله اي شيء افاد العلم بل الجهل كان
لهؤلاء اعذر ومن اقبح احوالهم لزومهم الاسباب التي تجلب لهم الدنيا
من التخاشع والتناسك في الظاهر وملازمة خشن العزلة عن المخالطة
وكل هؤلاء بمعزل عن الشرع ولقد تاملت على بعضهم من القدح في نظيره الى
ان يبلغ به الى التعرض به للهلاك فالويل لهم ما اقل ما يتمتعون بظواهر هذه
الدنيا وان كان مقلب القلوب قد صرف القلوب عن محبتهم لان الحق عز وجل
لا يميل بالقلوب الا الى المخلصين فقد فاتتهم الدنيا على الحقيقة وهي مسددة
القلوب والاخرة بالنفاق وما حصلوا الا صورة الحطام نسال الله عز وجل
عقلا يدبر دنيانا ويحصل لنا آخرتنا والرزق قادر **فصل** ينبغي لمن عرف
شرف الوجود ان يحصل افضل الموجود وهذا العمر موسم والتجارات تختلف والعامة
تقول عليكم بما خف حمله وكثر ثمنه فينبغي للمتيقظ ان لا يطلب الا الانفس والنفس
الاشياء في الدنيا معرفة الحق عز وجل فمن العارفين التاركين من يرى في طريقه

بقيته

بقيته في السفر ومنهم من همته متعلقة بطلب ربحه ومنهم من ينظر الى ما يرضي
الحبيب فيجلبه الى بلده للمعاملة ويرضى بالقوت ثمنا ويرى ان كل الصنائع لا تفي
بحق الخفارة ومنهم من يرى لزوم الشكر في اختياره للمملوك دون غيره فيقر
بالعجز وقد ارتفع قوم عن هذه الاحوال فرأوا وجود التوفيق يشغلهم عن النظر
الى العمل اولئك الاقلون بعدد الاعظمون قدرا اقل نسلا من عنقاء مغرب **فصل**
من علم قرب الرحيل عن مكة استكثر من الطواف خصوصا ان كان لا يؤمل العود
لكبر سنه وضعف قوته فكذلك ينبغي لمن قاربه ساحل الاجل بعلو سنه
ان يبادر اللحظات وينتظر الهاجم بما يصلح له فقد كان في قوس الاجل منزع زمان
الشباب واسترخى الوتر المستتب عن سيبة القوس فاخذ في القاب وضعفت
القوى ان يؤتى وما بقي الا استسلام المحارب التالف فالبدار البدار الى الله
التنطف ليكون القدوم على طهارة واي عيش في الدنيا يطيب لمن ايامه العليمة
تقرب الى الهلاك وصعود عمره نزول عن الحيوة وطول بقائه نقص مدة الحمد
فليتفكر فيما بين يديه وهو الموت مما ذكرناه اليس في الصحيح ما منكم احد الا ويعرض
عليه مقعده بالغداة والعشي من الجنة او النار غدوة وعشيا فيقال هذا
مقعدك حتى يبعثك الله فوا اسفا لمقعدكم يقل قبل القتل ويا طيب عيش
الموعود بازيد المنى وليعلم من شارف التسعين ان النفس اين لعان الله من
قطع عقبة العمر على زمل زود الموت **فصل** من اراد ان يعلم حقيقة الرضى
عن الله تعالى عز وجل في افعاله وان يدري من اين نال الرضاء فليتفكر في احوال
الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لما كملت معرفته بالخالق سبحانه راى ان الخالق
مالك والمالك التصرف في مملوكه ورآه حكيما لا يصنع شيئا عبثا فسلم
تسليم مملوك الحكيم فكانت العجايب تجري عليه ولا يوجد منه تغير ولا من
الطبع تاف ولا يقول بلسان الحال لو كان كذا بل ثبت الاقدار ثبوت الجبل
لعواصف الرياح هذا الرجل صلى الله عليه وسلم بعث الى الخلق وحده والكفر قد ملأ الافاق

لعله
تاثر

فجعل يفر من مكان الى مكان واستتر في دار الخيزران وهم يضربونه اذا خرج
ويدهون عقبيه وشق التلاع على ظهره وهو ساكن ويخرج كل موسم
ويقول من يوديني من ينصرني ثم خرج من مكة فلم يقدر على العود الا في
جوار كافر ولم يوجد من الطبع تاسف ولا من الباطن اعتراض اذ لو كان غيره
لقال يا رب انت مالك الخلق وقادر على النصر فلم اذل كما قال عمر رضي الله عنه
يوم صلح الحديبية السنا على الحق فلم نعط الدنية في ديننا ولما قال هذا
قال له الرسول صلى الله عليه وسلم اني عبد الله ولم يضيعني فجمعت الكلمتان
الاصلين الذين ذكرناهما فقوله اني عبد الله اقرار بالملك وكانه قال انا مملوك
يفعل بي ما شاء وقوله ولن يضيعني بيان حكمته وانه لا يفعل شيئا عبثا
ثم يبتلى بالجوع فيشد الحجر والله خزائن السموات والارض ويقتل اصحابه
ويشج وجهه وتكسر رباعيته ويمثل بعمه وهو ساكت ثم يرزق ابناء ويسلب
منه فيتعلل بالحسن والحسين فيخبر ما يجري عليهما ويسكن بالطبع الى
عائشة رضي الله عنها فينحر عيشه بقذفها ويبالغ في اظهار المعجزات
فيقام في وجهه سيلمة والعنسي وابن صايد ويقيم ناموس الامانة
والصدق فيقال كذاب ساحر ثم يقلقه المرض كما يوعك رجلان وهو
ساكن ساكت فان اخبر بحاله فليعلم الصبر ثم يشتد عليه الموت فيسلب
روحه الشريفة وهو مضطجع في كساء مليد وازار غليظ وليس عندهم
زيت يوقد به المصباح ليلتقن هذا شيئا ما قدر على الصبر عليه كما ينبغي نبي
قبله ولو ابتليت به الملائكة ما صبرت هذا آدم عليه السلام باح الجنة سوى
شجرة فلا يقع ذباب حرصه الاعلى المعفر نبينا صلى الله عليه وسلم يقول في
المباح مالي وللدنيا وهذا نوح عليه السلام يصبح مالا في فيصلح كمد
وجده لا تدر على الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اهد قومي
فانهم لا يعلمون هذا الكليم عليه السلام يستغيث عند عبادة قومه العجل

على القدران هي الا قتلتك ويوجه اليه ملك الموت فيقلع عينه وعيسى صلى
الله عليه وسلم يقول ان صرفت الموت عن احد فاصرفه عني ونبينا صلى
الله عليه وسلم يخير بين البقاء والموت فيختار الرجيل الرفيق الاعلى هذا
سليمان عليه السلام يقول هب لي ملكا ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا هذا والله فعل رجل عرف الوجود والموجد
فمات غرضه وسكنت اعتراضاته فصار هواه فيما يجري **فصل**
اكثر شهوات الحسن النساء وقد يرى الانسان امراة في ثيابها فيتخايل له
انها احسن من زوجته ويتصور بفكره المستحسنات وفكره لا ينظر
الا الى الحسن من المراة فيسعى في التزويج والتسري فاذا حصل له مراده لم يزل
ينظر في عيوب الحاصل التي ما كان يتفكر فيها قبل فيطلب شيئا آخر
ولا يدري ان حصول غرضه في الظاهر ربما اشتغل اشتمل على خمس منها
ان تكون الثانية لا دين لها ولا عقل ولا محبة له ولا تدبير فيفوت اكثر
مما حصل وهذا المعنى هو الذي اوقع الزناة في الفواحش لانهم جالسوا
المراة حال استتار عيوبها عنهم وظهور محاسنها فقد لهم ثلاث
التلاعة ثم ينتقلون الى اخرى فليعلم العاقل ان لا حصول الى سبيل مراد
تام كما يريد ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه وما عيب نساء الدنيا
باحسن من قوله عز وجل ولهم فيها ازواج مطهرة وذوات الاثقة يائق من
الوسخ صورة وعيب الخلق معنى فليقنع بما باطنه الدين وظاهره الستر
والقناعة فانه يعيش مرفه السر طيب القلب ومتى ما استكثر فاغما
يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه **فصل** سبحان من شغل كل شخص
بفن لتتام العيون في الدنيا فاما بي العلوم فحببت الى هذا القرآن والى
هذا الحديث والى هذا النحو اذ لولا ذلك ما حفظت العلوم والهم هذا
المتعيش ان يكون خياطا وهذا ان يكون حراسا وهذا ان ينقل الشوك

من التحير وهذا ان ينقي التبار ليلتام امر الخلق ولو الهم اكثر الناس ان
يكونوا خبازين مثلا بار الخبز وهلك او حراسين جافت الهرايس
بل يلهم هذا بقدر لينظر امر الدنيا وامر الآخرة ويقدر من الخلق من
يلهمه الكمال وطلب الافضل والجمع بين العلوم والاعمال ومعاملات
القلوب ويتفاوت ارباب هذه الحال فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار
نسأله العفو ان لم يقع الرضى والسلامة ان لم نصلح للمعاملة **فصل**
علم الحديث هو الشريعة لانه مبين القرآن وموضح الحلال والحرام و
كاشف عن سير الرسول صلى الله عليه وسلم وسير اصحابه وقد مزجوه بالكذب
وادخلوا في المنقولات كل قبيح فاذا وفق الزاهد الواعظ لم يذكر الا
ما شهد بصحته وان حرم التوفيق عمل الزاهد بكل حديث يسمع لحسن ظنه
بالرواة وقال الواعظ كل شيء يراه لجهله بالصحيح ففسدت احوال الزاهد
وانحرف عن عادة الهدى وهو لا يعلم وكيف لا وعموم الاحاديث الدالة
على الزهد لا تثبت مثل حديث ابن عمر رضي الله عنهما ايما امرء مسلم
اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وهذا حديث موضوع
يمنع الانسان ما يبيح له مما يتقوى به على الطاعة ومثل قوله من وضع
ثيابا حسانا وكذلك ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له ادمان فقال
ادمان في قدح لا حاجة لي فيه اكره ان يسألني الله عن فضول الدنيا وفي
الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل البطيخ بالرطب ومثل هذا اذا تتبع
كثير فقد بنوا على فساده فتفسد احوال الواعظ والموعوظ لانه يبني كلامه
على اشياء فاسدة ومحالات ولقد كان جماعة من المتزهدين يعملون على
احاديث ومقولات لا تصح فيضيع زمانهم في غير المشروع ثم ينكرون
على العلماء استغالهم للمباحات ويرون ان التجهف هو الدين وكذلك
الوعاظ يحدثون الناس بما لا يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه

فعلم

من اذا فعل خطيئة بادر بها بالتوبة فكم من مغرور بامهال المعصية لم يمهل
وكم واسع المعاصي عقوبته ملخلا عن لذة تنسي النهي فيكون تلك
الخطيئة كالمعاندة والمباهرة فان كانت توجب اعتراضا على الخالق او
منازعة له في عظمته فتلك التي لا تقال في خصوصا ان وقعت من عارف
بالله فانه يندر اهماله قال عبد المجيد ابن عبد العزيز كان عندنا بخراسان
رجل كتب مصحفا في ثلاثة ايام فلقيه رجل فقال في كم كتبت هذا فقال
واو ما بالسبابة والوسطى والابهام وقال في ثلاث وما متسامن لغوب
فجفت اصابعه الثلاث فلم ينتفع بها فيما بعد وخطر لبعض الفصحا
انه يقدر ان يقول مثل القرآن فصعد الغرفة فانفرد فيها وقال
امهلوني ثلاثا فصعد واليه بعد الثلاث ويده قد يبست على القلم وهو
ميت قال عبد المجيد ورايت رجلا كان ياتي امراة حائضا فحاض
فلما كثر الامر منه تاب فانقطع عنه ويلحق هذا ان يعير الانسان شخصا
بفعل وعظمه ان يعيره بما ليس اليه فيقول يا اعمى ويا قبيح الخلقة وقد
قال ابن سيرين عيرت رجلا بالفقر فحبست على دين وقد تتاخر العقوبة
ويأتي في آخر العمر فيا طول التعثير مع كبر السن لذنوب كانت في الشباب
فالحذر الحذر من عواقب الخطايا والبدار البدار الى محوها بالانابة فلها
تاثيرات قبيحة ان اسرعت والا اجمعت وجادت **فصل** اعلم ان
الآدمي قد خلق لامر عظيم فهو مطالب بمعرفة خالقه بالدليل ولا
يكفيه التقليد وذلك يفتقر الى جمع الهم في طلبه وهو مطالب ظاهرا
باقامة المفروضات واجتناب المحارم فان سمت همته الى طلب العلم
احتاج الى زيادة جمع الهم فاسعد الناس من له قوت دار بقدر الكفاية
لا من من الناس وصدقاتهم وقد قنع به فانه حينئذ يجتمع همه
لمطلوباته من الدين والدنيا والعلم واما اذا لم يكن له قوت يكفي فالهم

الذي يريد اجتماعه في تلك الامور تشتت ويصير طالبا للتحمل في القوت
فيذهب العمر في تحصيل قوت البدن الذي يريد من بقائه غير بقائه
ويفوت المقصود ببقائه وربما احتاج الى الالتذاذ قال الشاعر
حسبي من الدنيا تعللني الدهر ما كفاني ويصون عرضي عن الهوان
مخافة ان يقول قوم فضل فلان على فلان وينبغي للعاقل اذا رزق
قوتا وكان له مواد ان يحفظها ليجتمع همه ولا ينبغي ان يبذر في ذلك فانه
يحتاج فيشتت همه والنفس اذا احرزت قوتها اطمانت فان لم يكن له
اكتساب بقدر كفايته وقلل العلق يجمع همه وليقنع بالقليل فانه متى سمت
همته الى فضول المال وقع المحذور من التشتت لان التشتت في الاول للعدم
وهذا التشتت يكون للحرص على الفضول فيذهب العمر على البادر
ومن ينفق الايام في حفظ ماله مخافة فقرا فالذي فعل الفقر
فافهم هذا يا صاحب الهم في طلب الفضائل فانك مالم تعرف قوت
الصبيان شتتوا قلبك وطبعك طفل فمتى تهدك من اسقامه ولعرف
قدر شرف المال الذي اوجب جمع همك وصان عرضك عن الخلق واياك
ان يحملك اكرم على فرط الاحراج فتصير كالفقير المتعرض لك بالتعرض
لغيرك وفي الحديث ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عليه اثار
الفقر فعرض به فاعطى شيئا فجاء فقير اخر فانزه الاول ببعض ما اعطى
فرماه النبي صلى الله عليه وسلم ونهاه عن مثل ذلك والقناعة بما يكفي
وترك التشوف الى اهل الفضول اصل الاصول ولما ايس الامام احمد
ابن حنبل نفسه من قبول الهدايا والصلوة اجتمع همه وحسن ذكره ولما
اطمعها ابن المديني وغيره سقط ذكرهم ثم فيمن يطمع انما هو سلطان
جاير ومزك مبان او صديق مذل بما يعطي والحر الذي من كل لذة
والخروج عن رقبة المنن ولو لبس الترات فصل قد رسخ

في الطباع

في الطباع حب التفضل على الجنس فما احد الا وهو يحب ان يكون اعلا
درجة من غيره فاذا وقعت نكبة اوجبت نزول عن مرتبة سواه فينبغي
له ان يتجلد بستر تلك النكبة لئلا يرى بعين نقص وليتحمل التعفف
حتى لا يرى بعين الرحمة وليتحامل المريض لئلا يشمت به ذو العافية وقد
قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قدموا مكة وقد اخذتهم الحمى فخاف
ان تشمت بهم الاعداء حين ضعفهم فقال رحم الله من اظهر من نفسه
الجلد فرملوا والرمل شدة السعي وزال ذلك السبب عن السعي وبقي
الحكم ليتذكر السبب فيفهم معناه واستاذنوا على معاوية وهو
في الموت فقال لاهله اجلسوني فقعد متمكنا يظهر العافية فلما
خرج القوم انشد
وتجلدي للشامتين اريهم ... اني لريب الدهر لا اتضعضع
واذا المنية انشبت اظفارها ... الفت من كل تميمة لا تنفع
وهذا ل العقلا يظهرون التجلد عند المصايب والفقر والبلا ليئلا
يجلبوا مع النوايب شماتة الاعداء وانها اشد من كل نايبة وكان
فقيرهم يظهر الغنى ومريضهم يظهر العافية يالى ثم نكتة ينبغي ان تفهم
ربما اظهر الانسان كثرة المال وسبوغ النعمة فاصابه عدوه بالعين فلا
يفي ما يتجر به بما يلاقي من انعكاس النعمة والعين لا تصيب الا من
يستحسن الشيء ولا يكفي الاستحسان في اصابة العين حتى يكون من حاسد
ولا يكفي ذلك حتى يكون من شرير الطبع فاذا اجتمعت هذه الصفات خيف
من العين اصابة العين فليكن الانسان مظهر التجمل بمقدار ما يامن
اصابة العين ويعلم انه في خير وليحذر الافراط في اظهار النعم فان العين
هناك محذورة وقد قال يعقوب لبنيه عليهم السلام لا تدخلوا من
باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وانما خاف عليهم العين فليفهم

هذا الفصل فانه ينفع من له تدبر **فصل** انما خلقنا النجم مع الخالق
في معرفته ومحاذيته وفريضته في البقاء الدايم وانما ابتدى كونا
في الدنيا لانها في مثال مكتب تتعلم فيه الخط والادب ليصلح الصبي
عنده بلوغه للرتب فمن الصبيان بعيد الذهن يطول مكثه في المكتب
ويخرج وما فهم شيئا وهذا مثال من لا يعلم وجوده ولا نال المراد من
شهوته ومن الصبيان من يجمع مع بعد ذهنه وقلة فهمه وعدم تعلمه
اذى الصبيان فهو يؤذيهم ويسرق مطاعمهم ويستغيثون من يده
فلا هو صلح ولا فهم ولا كف الشر وهذا مثل اهل الشر والمؤذين ومن
الصبيان من علق بشيء من الخط لكنه ضعيف الاستخراج رديء الكتابة
فخرج ولم يعلق الا بقدر ما يعلق به حساب معاملته وهذا مثل من
فهم بعض الشيء وفاته الفضائل التامة ومنهم من جود الخط ولم
يتعلم الحساب واتقن الاداب حفظا غير انه محاصر في ادب النفس فهذا
يصلح ان يكون كاتبا للسلطان على مخاطرة لسوء ما في باطنه من الشر
وقلة التاديب ومنهم من سمت همته الى المعالي الكاملة فهو مقدم
الصبيان في المكتب وناب عن معلمهم ثم يرتفع عنهم بعز نفسه
وادب باطنه وكمال صناعة الاداب الظاهرة ولا يزال حاث من باطنه
يحثه على تحصيل التعلم وتحصيل كل فضيلة لعلمه ان المكتب لا يراد لنفسه بل
لاخذ الادب منه والرحلة الى حالة الرجولية والتصرف فهو يبادر الزمان
في نيل كل فضيلة فهذا مثل المؤمن الكامل يسبق الاقران يوم التخاير
ويعرض خواتيم عمله جيد الخط فيقول بلسان حاله صنعوا قرؤا كتابيه
وكذلك الدنيا واهلها من الناس هالك بعيد عن الخلق وهم الكفار
ومنهم خاطي مع قليل الايمان فهو معاقب والمصير الى خير ومنهم سليم
لكنه قاصر ومنهم تام لكنه بالاضافة الى من دونه وهو ناقص بالاضافة

الى من

الى من فوقه فالبدار البدار يا ارباب الفهوم فان الدنيا معبر الى الاقامة
وسر الى القرب من السلطان ومحاورته فتهيؤ للجالسة واستعد للمخاطبة
وبالغوا في استعمال الادب لتصلحوا للقرب من الحضرة ولا يشغلنكم عن
تعظيم الخيل تكاسل وليحملنكم على الجد في ذلك تذكركم يوم السباق
فان قرب المومنين من الخالق على قدر حذرهم في الدنيا ومنازلهم على
قدرهم فما منزل النقاط كمنزل الحاجب ولا منزل الحاجب كمنزل الوزير
جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما
فيهما والفردوس الاعلى للاخرين والذين في ارض الجنة ينظرون الى الدرجات
كما يرون الكوكب الدري فليتذكر الساعي حلاوة التسليم الى الامين وليذكر
في لذات المدح يوم السباق وليحذر المسابق من تقصير لا يمكن استدراكه
وليخف من عيب يبقى قبح ذكره هؤلاء المجتهدون عتقاء الرحمن وليصبر
الهوى عن المشتهى فالايام قلايل يدخل فقراء المومنين قبل الاغنياء الى
الجنة بخمسمائة عام فالجد الجد باقدام المبادرة فقد لاح العلم خصوصا
لمن بانت له راية الوادي اما بالعلم الدال على الطريق واما بالشيب الذي
هو علم الرحيل وهو باهله اهل الجد وكان الجنيد يقرا وقت خروج روحه فيقال
له في هذا الوقت فيقول ابادر طي صحيفتي وبعد هذا فالمراد موفق
والمطلوب معان واذا اردت الامر هينا له **فصل** تاملت حالة
عجيبة وهو ان اهل الجنة الساكنين في ارضها في نقص عظيم بالاضافة الى
من فوقهم وهم يعلمون فضل ذلك فلو تفكروا فيما فاتهم من ذلك
وقعت الحسرات غير ان ذلك لا يكون لان ذلك لا يقع لهم الطيب
منا لهم ولا يقع في الجنة غم ويرضى كل بما اعطي من وجهين احدهما انه
لا يظن ان يكون نعيم فوقها هو فيه وان علت منزلة غيره والثاني انه
يحب اليه كلما يحب اليه ولده المستوحش الخالقة فيوثره على الاجنبي

المستحسن الآن تحت هذا معنى لطيف وهو ان القوم خلقت لهم همم قاصرة
في الدنيا عن طلب الفضايل وتفاوت قصورها فمنهم من يحفظ
بعض القرآن ولا يتوق الى التمام ومنهم من يسمع يسيرا من الحديث ومنهم
من يعرف قليلا من الفقه ومنهم من قد رضي من كل شيء بيسير ومنهم
مقتصر على الفرايض ومنهم قنوع بصلوة ركعتين في الليل ولو علمت بهم
الهمم لجدت في تحصيل كل الفضايل ونبت عن النقص فاستحدمت
البدن كما قال الشاعر ∴ ولكل جسم في النحول بلية ∴ وبلى جسمي من تفاوت همتي ∴
ويدل على تفاوت الهمم ان في الناس من يسهر في سماع سمر ولا يسهل عليه
السهر في سماع القرآن والانسان يحشر وهو على تلك الهمة فيعطى على
مقدار ما حصلت في الدنيا فكم من تق الى الكمال وقنعت بالدون هو
قنعت في الاخرة بمثل ذلك ثم ان القوم يتفكرون بعقولهم فيعلمون ان
الجزاء على قدر العمل ولا يطمع من صلى ركعتين في ثواب من صلى الفا
فان قال قايل فكيف يتصور لهان تروم ما آناله من هو افضل منها قلت
ان لم يتصور فيله يتصور الحزن على فوته وهل رايت عاميا يحزن على فوات
الفقه حزنا يقلقه ويهلك لو كان ذلك الحزن عنده محركه الى التشاغل فليس
عندهم همة توجب الاسوء مع انهم قد رضوا بما هم فيه فافهم ما قلته وبادر
فهذا ميدان السباق فصل تفكرت في ابقاء اليهود والنصارى بيننا
واخذ الجزية منهم فرايت في ذلك حكما عجيبة منها ما قد ذكرته ان الاسلام
كان ضعيفا فيقوي بما يأخذ من جزيتهم ومنها ظهور عزة يد لهم الى غير
ذلك مما قد قيل ووقع لي فيه معنى عجيب وهو ان وجودهم وتعبدهم وحفظهم
الشرع بنبيهم صلى الله عليه وسلم دليل على انه قد كان انبياء وشرايع وان نبينا
صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل فقد اجتمعت الجن وهم على اثبات صانع
واقرار برسل فهان انا ما ابتدعنا ما لم يكن وهم يصبرون على باطلهم ويؤدون

الجزية فكيف لا نصبر على حق والدولة لنا وفي بقايهم احترام لما كان صحيحا
من الدين وليرجع مبتصر ويستعمل فكر فصل قد ثبت بالدليل
شرف العلم وفضله الان طلاب العلم افترقوا فكل تدعيه نفسه الى
شيء فمنهم من اذهب عمره في القرآت وذلك وذاك تفريط في العمر
لانه انما ينبغي ان يعتمد على المشهور منها لاعلى الشاذ وما اقبح بالقاري
ان يسئل عن مسئلة في الفقه ولا يدري وليس ما يشغله عن ذلك الا كثرة
الطرق في روايات القرآت ومنهم من يتشاغل بالنحو فحسب وعلله ومنهم
من يتشاغل باللغة فحسب ومنهم من يكتب الحديث ولا ينظر في فهم
ما كتب وقد رايتا في شايخنا المحدثين من كان يسئل عن مسئلة في
الصلوة فلا يدري ما يقول وكذلك القراء وكذلك اهل اللغة والنحو
وحدثني عبد الرحمن ابن عيسى الفقيه قال حدثني ابن المنصوري قال
حضرنا مع ابي محمد ابن الخشاب وكان امام الناس في النحو واللغة
فتذاكروا الفقه فقال سلوني عما شيتم فقال له رجل ان قيل لنا رفع
اليدين في الصلوة ما هو فانا نقول قال هو سنة فدهشت الجماعة من
قلة فهمه وانما ينبغي ان ياخذ من كل علم طرفا ثم يهتم بالفقه ثم ينظر
في مقصود العلم وهو المعاملة لله سبحانه والمعرفة به والحب له
وما ابله من يقطع عمره في معرفة علم النجوم وانما ينبغي ان يعرف من
ذلك التسيير والمنازل لعلم الاوقات وانما النظر فيما يدعى انه القضا
والحكم فجهل محض لانه لا سبيل الى علم ذلك حقيقة وقد جرب فبان
جهل مدعيه وقد تقع الاصابة في وقت وعلى تقدير الاصابة لا فايدة
فيه الا تعجيل الغم فان قال قايل يمكن دفع ذلك فقد سلم انه لا حقيقة
لما ابله من هولاء من يتشاغل بعلم الكيمياء فانه هذيان فارغ واذا كان
لا يتصور قلب الناقص الذهب خاسا لم يتصور قلب النحاس ذهبا

/

وانما فاعل هذا مستحل للتدليس على الناس في النقود هذا الواضح له مراده وينبغي
لطالب العلم ان يصحح قصده اذا فقد الاخلاص يمنع ويمنع قبول الاعمال
وليجتهد في مجالسة العلماء والنظر في الاقوال المختلفة وتحصيل الكتب فلا
يخلو الكتاب من فائدة وليجعل همته الحفظ ولا ينظر ولا يكتب الا في وقت
التعب من الحفظ وليجعل حجته السلطان وليتنظر في منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم
والصحابة والتابعين وليجتهد في رياضة نفسه والعمل بعلمه ومن
تولاه الحق وفقه **فصل** طال تعجبي من اقوام لهم انفة وعندهم كبر
زايد في الحد خصوصا العرب الذين من كلمة ينفرون ويحاربون ويرضون
بالقتل حتى ان قوما منهم ادركوا الاسلام فقالوا كيف نركع ونسجد فتعلونا
استاهنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ومع
هذه الانفة يذلون لمن هم خير منه وهذا يعبد حجرا وهذا يعبد خشبة وقد
كان قوم يعبدون الخيل والبقر وان هؤلاء لاخس من ابليس فان ابليس
انف لادعايته الكمال ان يسجد لناقص فقال انا خير منه وفرعون انف ان
يعبد شيئا اصلا فالعجب من ذل هؤلاء المتاخرين المتعظمين المتكبرين
لحجر او خشبة وانما ينبغي ان يذل للناقص الكاملين وقد اشير الى هذا
في ذم الاصنام وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها والمعنى انتم لكم هذه الآلات المدبرة وهم ليس
لهم فكيف يعبد الكامل الناقص غير ان هوى القوم في متابعة الاسلاف
واستجلاء ما اخترعوه بار ائهم غطى على العقول فلم يتامل حقايق الامور
ثم غطى الحسد على اقوام فتركوا الحق وقد عرضوه فامية ابن الصلت يقر
برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصده ليؤمن به ثم يعود فيقول لا آمن لرسول
ليس من ثقيف وابو جهل يقول والله ما كذب محمد قط ولكن اذا كانت
المسدانة والحجابة في بني هاشم ثم النبوة فما بقي لنا وابو طالب يرى

المجرات ويقول اني لاعلم انك على الحق ولولا ان تعير نساء قريش
لاقررت بها عينك فنعوذ بالله من ظلمة حسد وغباية كبر وحماقة
هوى يغطي على نور العقل ونساله الهام الرشد والعمل بمقتضى الحق
فصل قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على
طريق السلامة والمحبة واللطف فعاملهم كذلك لانهم لا يحتمل طبعهم
غير ذلك فمنهم الاوابل بوخ العابد خرج يستسقي فقال ما هذا الذي لا نعرفه
منك استنا الساعة فسقوا ومنهم الصحابة انس ابن النظر يقول والله
لا تكسر سن الربيع فجرى الامر كما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من عباد
الله من لو اقسم على الله لابره وهؤلاء قوم غلب عليهم ملاحظة اللطف
والرفق فلطف بهم واجراهم على ما اعتقدوا وهناك اعلام من هؤلاء
يسالون فلا يجابون وهم بالمنع راضون ليس لاحدهم انبساط بل قد
قيدهم الخوف ونكس رؤسهم الحذر ولم يروا السنتهم اهلا لانبساط فغاية
امالهم العفو فان انبسط احدهم بسؤال فلم ير الاجابة اعاد على نفسه
بالتوبيخ فيقال مثلك لا يجاب وربما قال لعل المصلحة في منعي وهؤلاء
الرجال حقا والابله الذي يرى له من الحق ايجاب فان لم يجب تذمر في باطنه
كانه يطلب اجرة عمله وكانه قد نفع الخالق بعبادته وانما العبد حقا ان
يرضى ما يفعله الخالق فان سال فاجيب راى ذلك فضلا وان منع
راى تصرف مالك في مملوك فلم يجل في قلبه اعتراض مجال **فصل** تنفسحون
رايت جماعة يتقسمون ويظنون ان العلم يدفع عنهم وما يدرون
ان العلم خصمهم وانه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب
وذلك لان الجاهل لم يتعرض بالحق والعالم يتادب معه ورايت بعض
القوم يقول انا قد القيت مجلي بين الحصادين وتمثل ثم كان ينفع في اشياء
لا تجوز فتفكرت فاذا العلم الذي هو معرفة الحقايق والنظر في سير القدماء

والتأدب بادابهم وفهم باداب القوم ومعرفة الحق وما يجب له ليس عند
القوم انما هم صور الفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم وليس ذاك العلم
النافع انما هو فهم الاصول ومعرفة المعبود وعظمته وما يستحقه
والنظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه والتادب بادابهم وفهم
ما نقل عنهم وهو العلم النافع الذي يدع اعظم العلماء احقر عند نفسه
من اجهل الجهال ورايت بعض من تعبد مدة ثم فتر فبلغني انه قد
قال لعبدة عبادة ما عبدته بها احد والآن قد ضعفت وقلت همة
ما اخوفني ان تكون كلمته هذه سببا لرد العمل لانه قد راى انه عمل مع
الحق شيئا واعاوقف يسال النجاة بطلب الدرجات ففي حق نفسه
فعل وما مثله الا كمثل من وقف بكدى فلا يلتفت ان يمن على المعطي فانما
سبب هذا الانبساط الجهل بالحقايق واين هو من كبار العلماء علماء
المعاملة الذين كان فيهم مثل صلة ابن اشيم الرجل اذا راى السبع هرب منه
وهو يقول اذا انقضى الليل عنه صلوة يارب اجرني من النار او مثلي يسئل
الجنة وابلغ من هذا قول عمر وددت اني انجو كفافا لا لي ولا علي وقول
سفيان عند موته لحماد ابن سلمة ارجو لمثلي ان ينجو من النار وقول
احمد لا بعد فاما احمد لله عز وجل اذ خلصت من جهل المتسمين بالعلم
من هؤلاء الذين ذممتهم وبالزهد من هؤلاء الذين عبتهم فاني قد
اطلعت من عظمة الخالق وسير المحققين ما يخرس لسان الانبساط
ويمحو النظر الى كل فعل وكيف انظر الى فعلي المستحسن وهو الذي وهبه لي
واطلعني على ما خفي عن غيري فهل حصل ذلك بي او بلطفه وكيف
اشكر توفيقي للشكر ثم اي عالم اذا سير اسير القدماء من العلماء
لاحتقر نفسه هذا في صورة العلم فدع معناه واي عابد يسمح بالجهاد
ولا يجري في صورة التعبد فدع المعنى لسال الله عز وجل معرفة تعرفنا

اقدارنا

اقدارنا حتى لا يبقى العجب بمحتقر ما عندنا اثر في قلوبنا ونرغب الينى معرفة
بعظمته تخرس الالسن ان تنطق بادلال ونرجو من فضله توفيقا يلاحظ
برافات الاعمال التي بها وهو حتى تثمر الملاحظة لعيوبها الخجل من وجودها
انه قريب مجيب **فصل** سبب تنغيص العيش فوات الحظوظ
العاجلة وليس في الدنيا طيب العيش على الدوام الا للعارف الذي شغلم
رضى حبيبه والتزود للرحيل اليه فانه ان وجد راحة في الدنيا استعان بها
على طلب الاخرة وان وجد شدة اغتنم الصبر عليها لثواب الاخرة فهو
راض بكل ما يجري عليه يرى ذلك من قضاء الخالق ويعلم انه مراد كما قال
قائلهم ∴ ان كان رضكم في سهري ∴ فسلام الله على وسني ∴
فاما من طلب حظه فانه يقلق لفوات مراده وينتفض لبعد ما يشتهي
خلوا فتقر تغير قلبه ولو زال تغير وهذا لانه قايم مع غرضه وهواه وما
احسن ما حكي قول الحصري ∴ ايش علي مني وايش لي فيّ ∴ وهذا كلام
عارف لانه ان كان ينظر الى حقيقة الملكة فعبد يتصرف في ملك مولاه فاعتراضه
لا وجه له واراد ان يقع غير ما يجب فضول في البين وان كان نظر الى النفس
كالملك له فقد خرجت عن يده من يوم ان الله اشترى فيحسن لمن باع
شاة ان يغضب على المشتري اذا ذبحها او تغير او تغير قلبه والله لو
قال المالك سبحانه انما خلقتكم ليستدل على وجودي ثم انا فنيكم لا
اعادة لكان يجب على النفوس العارفة بان تقول سمعا لما قلت وطاعة
واي شيء لنا فينا حتى نتكلم فكيف وقد وعد بالاجر الجزيل والخلود
في النعيم الذي لا ينفد لكن طريق الوصول يحتاج الى صبر على المشقة وما
يبقى لتعب رمل تردد انواذا لاح الحرم فالصبر الصبر يا اقدام المبتدين
لاح المنزل والسرور السرور ما تتوسطين ضربت الخيم والفرح الكامل
يا عارفين فقد تلقيتم بالبشاير زالت والله اثقال المعاملات عنكم

فكانت معرفتكم بالمبتلى حلاوة تعقبت شرة المجاهدة فلم يبق في الغم
للمرائر تحايا لعواقب المناجاة ولذة الخضوع ودوار كوخش المرض
عنكم فقد احدثت شمس الدنيا في الطفل ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴
ما ينسه الاعصر ∴ هذا السبح البواقي ∴ حتى يطول حديثنا ∴ بصنوف ما كنا لاقي
من المتغفل ان تعاقب شخصا او تسيئ اليه اساءة عظيمة وتعلم ان
مثل ذلك يحدد الحقد فتراه ذليلا لك طائعا تائبا متلقا عما فعل تتعود
فتستطيبه ويتسمها فعلت وتظن انه قد نحى من قلبه فرعا عمل لك المحن
ونصب لك الكايد كما جرى لقصير مع الزبا واختاره معروفه فاياك ان
تساكن من اذيته بل ان كان فلا بد من خارج فما تؤمن الاحقاد ومتى رايت
عدوك فيه غفلة لا تثنيه مثل هذا فاحسن اليه فانه ينسى عداوتك ولا يظن انك
قد اضمرت له جزاء على قبح فعله فحينيذ تقدر على بلوغ كل غرض منه ومن الطرق
اظهار العداوة للعدو ومن احسن التدبير التلطف بالاعداء الى ان يمكن ولو
لم يمكن كان اللطف مسببا في كف اكفهم عن اذى وفيهم من يستحيي لحسن
فعلك فينتغير عليه لك وقد كان جماعة من السلف اذا بلغهم ان رجلا
قد شتمهم اهدوا اليه واعطوه فهم بالعاجل يكفون شره ويختالون
في تقليب قلبه ويقع بذلك لهم حيلة لتدبير الحيل عليه ان اراد وا وكفى
بالنهى الناظر الى العواقب والتامل لكل ممكن مؤديا **فصل** تفكرت
في قول شيبان الراعي لسفيان يا سفيان عد منع الله اياك عطاء منه
لك فانه لم يمنعك بخلا انما منعك لطفا فراية كلام من قد عرف الحقايق
فان الانسان قد يريد المستحسنات الفائقات فلا يقدر وعجزه
اصلح لانه لو قدر عليهن تشتت قلبه اما بحفظهن او بالكلب عليهن
فان قوي عشقه لهن ضاع عمره وانقلب همه الآخرة الى الاهتمام بهن
فان لم يودنه فذاك الهلاك الاكبر وان طلبن نفقة لم يطقها كان سبب ذهاب

مروته وهلاك عرضه فان اردن الوطي وهو عاجز فربما اهلكنه او خربن
وان مات معشوقا هلك هو اسفا فالذي يطلب الفايق يطلب سكينا
لذبحه وما يعلم وكذلك انفاد قدر القوت فانه نعمة وفي التحمل من
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ومتى كثر
تشقت الهم فالعاقل من علم ان الدنيا لم تخلق للتنعيم فتمنع بدفع الوقت
في كل حال **فصل** رايت جماعة من الخلق يتعللون بالاقدار فيقول
قايلهم ان وفقت فعلت وهذا تعلل بارد ودفع للامر بالراح وهو يشير الى
رد اقوال الانبياء والشرايع جميعها فانه لو قال كافر للرسول ان وفقني اسلمت
لجيبيه الاضرب العنق وهذا من جنس قول الناس لعلي رضي الله عنه
ندعوك الى كتاب الله فقال كلمة حق اريد بها باطل وكذلك قول المتعللين
المتعللين عن الصدقة انطعم من لو يشاء الله اطعمه ولعمري ان التوفيق
اصل الفعل ولكن التوفيق امر خفي والخطاب بالفعل امر جلي فلا ينبغي ان
يتشاغل عن الجلي بذكر الخفي ومما يقطع هذا الاحتجاج ان يقال لهذا
القايل ان الله سبحانه وتعالى لم يكلفك شيئا الا وعندك ادوات ذلك
الفعل ولك قدرة عليه فان كانت القدرة عليه معدومة والادوات
غير محصلة فلا امر ولا تكليف وان كنت تسعى لتلك الادوات في تحصيل
غرضك وهواك فاسع بها في اقامة معروضك مثال ذلك انك
تسافر في طلب الربح وتمسك الحج فلا تفعل وثقل عليك الانتباه
بالليل فلو اردت الخروج الى البعيد انتبهت سحرا وتقوى في بعض اغراضك
مع صديق لحادثة ساعات فاذا وقفت في الصلوة استعجلت وثقل
وثقل عليك فاياك اياك ان تتعلق بامر لا حجة لك فيه ثم من نصيبك
ينقص ومن حظك تضيع فانما تحرك الله وانما تحرض لنفسك
فبادر لحاك مبادر بك وما يزيل كسلك ان تاملته ان تتخايل ثواب

المجتهدين وقد فاتك ويكون ذلك في توبيخ المقصران كانت له نفس فاما
الميت الهمة فلجرح عميت ايلام كيف بك اذا مثلت من قبرك وقد قربت
لحايب النجاة لاقوام وتعثرت واسرعت اقدام الصالحين على الصراط
وتخبطت هيهات ذهبت حلاوة البطالة وبقيت مرارة الاسف و
نضب ماء الكاس الكسل وبقي وسوب الندامة وما قدر البقاء في الدنيا
بالاضافة الى دوام الاخرة ثم ما قدر عمرك في الدنيا ونصفه نوم
وباقيه غفلة فياخاطبا حور الجنة وهو لا يملك فلسا من غرمه افتح عين
الفكر الفكر في صوب العين افلا تبصر مراقع خطابك فان رايت تثبطا
من الباطن فاستغث بعون اللطف وتنبه في الاسحار لعلات تتلمح
مركب الارباح ويعلق على قطار المستغفرين ولو خطوات واترك في
رياعة المجتهدين ولو مزلا **فصل** نظرت في قول ابي الدرداء
رضي الله عنه ما اعرف شيئا مما كنا عليه اليوم الا القبلة فقلت
واعجبا كيف لو ان انا اليوم وما علينا من الشريعة الا الرسم والشريعة هي
الطريق وانما نعرف شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بافعاله او
باقواله وسبب الانحراف عن طريقه صلى الله عليه وسلم اما الجهل بما فيجري
الانسان مع الطبع والعادات وربما اتخذ ما يضاد الشريعة طريقا
وقد كان الصحابة شاهدته وسمعت منه فقل ان تخرف احد منهم عن
جادة الا ان ابا الدرداء رضي الله عنه راى بعض الانحراف لميل الطباع فنبه
فانه قد يعرف الانسان الصواب بغير ان طبعه يميل عنه وما الت ا
الاحاديث المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
يقل الاشتغال بها والنظر فيها الى ان اعرض عنها بالكلية في زماننا هذا
وجهلت الا النادر واتخذت طرائق تضاد الشريعة وصارت عادات
وكانت اسهل عند الخلق من اتباع الشريعة واذا كان عامة من نسب الى العلم

قد